The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Ossul Eddin
Master of Tafsir and Sciences of Quran



الجـامعــة الإســـــــلامية بغـــــزة
عمادة البحث العلمي والدراســات العليا
كليـــــــــــــــة أصـــول الـــدين
ماجســتير التفســير وعلـــوم القـــرآن

أظلم الناس في القرآن الكريم
"دراسة موضوعية"

The Most Unjust People in the Holy Quran "Objective Study"

إِعدَادُ البَاحِثِة:
شريفة محمد رشيد الدلو

إِشرَافُ الدُكتُور:
رياض محمود جابر قاسم

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

يوليو/2022م– محرم/ 1444هـ

إقـــــرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

أظلم الناس في القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

The Most Unjust People in the Holy Quran "Objective Study"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**شريفة محمد رشيد الدلو**	اسم الطالبة:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

ج س غ/35/
21/08/2022م
الرقم .Ref
التاريخ Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **شريفه محمد رشيد الدلو** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ قسم **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

أظلم الناس في القرآن الكريم
"دراسة موضوعية"

The Unjust people in the holy Quran
"Objective study"

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **الاحد 23 محرم 1444**هـ الموافق **2022/08/21**م الساعة **الحادية عشرة صباحا**، في **قاعة مؤتمرات مبنى اللحيدان** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. رياض محمود قاسم	**مشرفا ورئيسا**	....
أ. د. جمال محمود الهوبي	**مناقشا داخليا**	....
د. نمر محمد أبو عون	**مناقشا خارجيا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/قسم التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. يوسف إبراهيم الجيش



ملخص الرسالة باللغة العربية

هدف الرسالة: تهدف الرسالة إلى إبراز منهج القرآن الكريم في التعامل مع أظلم الناس في القرآن الكريم والتحذير من أعمالهم وأخلاقهم، كما تبين ما أعده الله لأظلم الظالمين من عقوبات في الدنيا وخزي وعذاب في الآخرة للتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه.

منهج الدراسة: اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي الموضوعي في استقراء الآيات التي ورد فيها لفظ "أظلم" وتتبع المعاني المصاحبة لهذا اللفظ والسور التي ورد فيها.

تقسيم الدراسة: وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، الفصل الأول بعنوان: تعريف الظلم وأسبابه وأقسامه وبيان آثاره وعواقبه والفصل الثاني بعنوان آيات أظلم الناس في السياق القرآني، والفصل الثالث بعنوان أصناف أظلم الناس في القرآن الكريم.

أهم نتائج الدراسة:

- عدد الآيات التي ورد فيها لفظ (أظلم) بصيغة افعل التفضيل ست عشرة آية، عشر منها بلفظ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وخمس منها بلفظ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ وآية واحدة اقترنت بالضمير ﴿هُمْ أَظْلَمَ﴾ وورد في القرآن المكي أكثر منه في المدني حيث ورد في تسع سور مكية وسورتين مدنيتين.
- يتجلى الإعجاز البياني لآيات (أظلم الناس) في السياق القرآني من خلال المناسبة الواضحة والقوية بين الآيات السابقة واللاحقة لها.

أهم التوصيات:

1. دعوة الباحثين بإفراد كل نوع من أنواع الظلم بدراسة علمية مستقلة، تستوعب الكشف عن جميع جوانبها، وتسلط الضوء على كافة جزئياتها، وتقدم تصورًا واضحًا شاملًا حولها، يعين الأمة الإسلامية على فهمها وإدراك مدى خطورتها لتسعى إلى تفاديها قبل الوقوع فيها، من أجل تحقيق حياة طيبة.
2. أوصي عباد الله بالابتعاد عن الظلم، والحذر من الوقوع فيه.

Abstract

This thesis aims to highlight the approach of the Noble Qur'an in dealing with the most unjust people in the Noble Qur'an and to warn against their actions and morals. It also shows what Allah the Almighty has prepared for the most unjust people of punishments in this world, and shame and torment in the hereafter, and to warn against falling into what they have fallen into.

The researcher followed the thematic inductive approach in extrapolating the verses in which the word "aẓlm" [who does more wrong] was mentioned, and followed the meanings accompanying this word and the surahs in which it was mentioned. This study included an introduction, three chapters and a conclusion. The first chapter is entitled: 'Defining injustice, its causes and divisions, and stating its effects and consequences'. The second chapter is entitled 'Verses on the most unjust people in the Qur'anic context', and the third chapter is entitled 'Types of the most unjust people in the Holy Qur'an'.

The most important results of the study:

- The number of verses in which the word "aẓlm" [who does more wrong] is mentioned in the superlative form is sixteen verses, ten of which are with the wording: "waman aẓlamu" [And who is more unjust], and five of them are with the wording "faman aẓlamu" [Who is more unjust] and one verse is associated with the pronoun "hum aẓlama" [They are more unjust]. The word was mentioned more times in the Meccan surahs than in the Medinan surahs, as it was mentioned in nine Meccan surahs and two Medinan surahs.
- The rhetorical inimitability of the verses (the most unjust of people) in the Qur'anic context is manifested through the clear and strong correspondence between the previous and subsequent verses.

The most important recommendations of the study are the following:

1. Calling on researchers to conduct an independent scientific study of each type of injustice that involves revealing this injustice in all its aspects, highlighting all its parts and presenting a clear and comprehensive vision around it. This would help the Islamic nation to understand it and realize the extent of its danger in order to seek to avoid it before falling into it, and in order to achieve good life.
2. I advise the servants of Allah (SWT) to stay away from injustice, and beware of falling into it.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾

[الإسراء : 85]

إهداء

إلى من علمني كيف أرتب حياتي وأولوياتي، كيف أسامح وأكسب ود من حولي وفي أشد مواطن الضعف تعلمت كيف أستنهض قوتي بفضل تشجيعه، ولما شغلني عنه غيره قال لا تحزني فأنا عنك راضٍ وأنت ذخري يا ابنتي إنه وبكل فخر أبي الحبيب.

إلى روح أمي الحبيبة، التي أسمع دعواتها في عقلي ترافقني في كل عملي، إلى من أذبلت روحي بفراقها، لا أتخيلك يا أمي إلا سيدة حور في الجنة، فلروحك الطاهرة ألف رحمة وسلام إلى يوم نلقاك في الجنان.

إلى زوجي الحبيب، سندي، قوتي، رفيق دربي، إلى من كان العون والهمة والنهضة حين كسري، لا أبالغ إن قلت إن كل شهادة حصلت عليها بفضلك أنت وبفضل صبرك على زوجٍ شغلتها الدنيا بأعبائها فأنت نعم العون والسند.

إلى إخوتي وأخواتي الأحباء الذين ما تركوا مساندتي بدعواتهم الطيبة.

إلى أبنائي وزوجاتهم وأبنائهم، إلى بناتي وأزواجهم – من تحملوا انشغالي وبعدي عنهم في دراستي _ إلى زميلات العمل إلى وزارة الأوقاف والشؤون الدينية؛ وزارتي الحبيبة التي احتضنتني وعلوت علمًا في كنفها، إلى شيوخي وأساتذتي

إليهم جميعًا... أهدي هذا البحث

شكر وتقدير

أحمد الله ﷻ أن أتم عليّ نعمته، وأسبغ عليّ من واسع فضله، فهو الذي هداني لهذا، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الكريم، ومشرفي القدير: فضيلة الأستاذ الدكتور/ رياض محمود قاسم، الذي جادَ عليَّ بتوجيهاته، وأحسن إليَّ بصبره وسعة صدره، وبذل جهدًا كبيرًا في تعقب هذه الدراسة كلمةً كلمةً حتى خرجت في حُلةٍ بهية، ومنظرٍ بهيج.

وأتقدم بالشكر كذلك من عضوي لجنة المناقشة الكريمين، كل من:

فضيلة الأستاذ الدكتور/...جمال محمود الهوبي...، حفظه الله

فضيلة الدكتور/....نمر محمد أبو عون.... ، حفظه الله

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بملاحظاتهما القيمة.

وأتوجه بالشكر لجامعتي الإسلامية الغراء،وأخص بالذكر كلية أصول الدين، وأساتذتها النجباء، فلهم كل الحب والوفاء.

وأتوجه بالشكر لعائلتي الكريمة، وكل من له حقٌّ علي، ولا أنسى أن أقدم الشكر لكلِ من علمني حرفًا، أو رجا لي خيرًا، أو أهدى إليَّ نصيحةً، أو دعا لي بخير.

الباحثة

فهرس المحتويات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، العدل المقسط المبين، والصلاة والسلام التامّين على أشرف المرسلين؛ الهادي المصطفى الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

لقد حرم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرمًا، ففي الحديث القدسي: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَال: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا) [1].

كما جعل الظلم قرين الشرك بالله كما قال تعالى على لسان سيدنا لقمان لولده: ﴿ **يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: 13]، ومن المعلوم أن الظلم يحدث الاضطراب بين الأفراد والجماعات وينشر الرعب والفساد، ويحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق، وفي ظله ينمو النفاق، وفي كنفه يكثر الشقاق وتشتد الخصومات، ويضعف الدين في القلوب وتُسلب الحقوق وتُهدر الحرية وتداس الكرامة.

إن الطغيان والظلم يرجع تاريخهما إلى عهد بعيد في الزمن الغابر، حين اعتدى أحد بني آدم على أخيه وسفك دمه ظلمًا وعدوانًا، واندفاعًا نحو تحقيق الأطماع والمصالح الذاتية، فكان قدوة سيئة للعدوان والطغيان، وباء بالخسران وبالخزي والندامة على فعلته البشعة. وتتعدد أنواع الظلم وأقسامه، وهناك أناسٌ وصفهم الله بأنهم أظلم الناس والأشد ظلماً وتوعدهم بأشد العذاب والعاقبة

ومن تنديد الله تعالى بالظلم والظالمين ووروده في 289 موضعاً في القرآن الكريم بلفظه ومشتقاته جاءت فكرة هذه الدراسة حيث اختارت الباحثة بحثاً موسوماً بعنوان " **أظلم الناس في القرآن الكريم** " لبيان أظلم الناس الذين ورد التعريف بهم ضمن سياق آيات وسور القرآن الكريم.

أولاً: أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال عدة أمور أذكر منها:

1. حاجة المسلمين في هذا العصر الذي انتشر فيه الظلم إلى بيان صفات أظلم الناس كما يصور ذلك القرآن الكريم.
2. أهمية توضيح صفات الظالمين بصيغة أفعل التفضيل "أظلم" لتنفير المسلمين من الظلم.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص 1244، رقم 2577.

3. هذه الدراسة تلامس الواقع المعاش وذلك من خلال ما نراه من أظلم الظالمين في هذا العصر وهم الذين يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه أو من خلال الافتراء على الله.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

1. خدمة كتاب الله تعالى من خلال البحث في صفات أظلم الناس الواردة في القرآن الكريم.
2. إبراز حكم الله تعالى في أظلم الناس والعقاب المنتظر لهم يوم القيامة.
3. افتقار المكتبة الإسلامية إلى دراسة موضوعية تهتم بجانب مهم في حياة البشرية.
4. تشجيع أستاذي ومشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور / رياض محمود قاسم على الكتابة في هذا الموضوع حيث لم يتم الكتابة فيه من قبل في دراسة محكّمة.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

للدراسة عدة أهداف أذكر أهمها في النقاط الآتية:

1. إثراء المكتبة الإسلامية ببحث تفسيري محكم يتناول صفات أظلم الناس ومآلهم في الدنيا والآخرة.
2. إبراز منهج القرآن الكريم في التعامل مع أظلم الناس في القرآن الكريم والتحذير من أعمالهم وأخلاقهم.
3. محاولة ربط الموضوع بالواقع ما أمكن وذلك بإسقاط صفات أظلم الظالمين على ما يفعله الظالمون في هذا الزمان من تخريب لبيوت الله وصد عن سبيله.
4. تحذير المسلمين من الوقوع في الظلم والتمادي فيه حتى لا يصل الإنسان بظلمه إلى مداه فيكون في عداد أظلم الظالمين
5. بيان ما أعده الله لأظلم الظالمين من عقوبات في الدنيا وخزي وعذاب في الآخرة للتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه.

رابعًا: الدراسات السابقة:

بعد البحث في مكتبة الجامعة الإسلامية، والشبكة العنكبوتية تبين أن هذه الدراسة لم تسبق برسائل علمية ماجستير أو دكتوراه، تناولت هذا الموضوع من خلال استقراء الآيات التي تحدثت عن أظلم الناس في القرآن الكريم، واستنباط الأحكام المتفرعة منها.

ومع ذلك فقد وجدت رسائل علمية تحدثت عن الظلم بشكل عام دون التطرق لأظلم الناس بصيغة التفضيل " أظلم " وهي كالآتي :

1. إنكار الظلم في ضوء الكتاب والسنة، رسالة ماجستير للباحث محمد إبراهيم أحمد سيف، 2007 م.فلسطين – جامعة النجاح الوطنية – نابلس.
2. الظلم في ضوء القرآن الكريم ،رسالة دكتوراة للباحثة نورة بن حسن 2009 م.الجزائر – جامعة الحاج لخضر – باتنة –.
3. كتاب الظلم وعلاجه في ضوء السنة النبوية ،أحمد عمر بازمول.
4. كتاب الظلم وانعكاساته على الإنسانية أ. د. عثمان محمد غنيم مكتبة دار الشروق.
5. كتاب عاقبة الظلم وجزاء الظالمين. د. محمد أبو سمرة.مكتبة دار زهران 2015 م.
6. كتاب الظلم والظالمون لفضيلة الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي. إعداد ودراسة وتحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة.

خامسًا: حدود الدراسة:

دراسة الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ " أظلم " وتفسيرها من كتب التفاسير المختلفة.

سادسًا: منهج الباحثة:

ستتبع الباحثة المنهج الاستقرائي الموضوعي في استقراء الآيات التي ورد فيها لفظ "أظلم" وتتبع المعاني المصاحبة لهذا اللفظ والسور التي ورد فيها هذا اللفظ مع بيان حقيقة الظلم وأنواعه وعواقبه وذلك ضمن الخطوات الآتية:

1. كتابة الآيات القرآنية الواردة في البحث مشكَّلة بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، ووضعها بين قوسين مزهرين.
2. عزو الآيات الواردة في البحث إلى سورها وذكر رقم آياتها في المتن، وذلك تخفيفاً عن الحواشي.
3. الرجوع إلى أمهات كتب التفسير وذكر أقوال المفسرين في معاني الآيات القرآنية ثم بيان رأيي في تفسير هذه الآيات ما أمكن.
4. الرجوع إلى الأحاديث النبوية التي لها علاقة بموضوع الدراسة.
5. تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث، وجعلها بين قوسين، وإن كانت في الصحيحين أو في أحدهما فسأكتفي بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإن كان في غيرهما فيتم تخريج الحديث منها أو من بعضها مع نقل حكم العلماء عليه.
6. الرجوع إلى معاجم اللغة، وكتب المصطلحات، للتعرف على المصطلحات والمفاهيم اللغوية الواردة في البحث.

7. عند نقل النص حرفياً سأضعه بين علامتي تنصيص "...." وأوثق ذلك في الحاشية.
8. التوثيق في الحاشية بذكر اسم الكتاب ثم اسم المؤلف، مع ذكر الجزء إن كان ذا أجزاء، ثم رقم الصفحة.
9. عند تلخيص مجمل النص، وتدوينه بأسلوب الباحثة، يتم الإشارة له في الهامش (انظر)
10. إرداف الدراسة بأهم النتائج والتوصيات.
11. تذييل الدراسة بالفهارس اللازمة.

سابعًا: هيكلية الدراسة:

تتكون الدراسة من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وذلك كما يأتي:

المقدمة وتشتمل على:

1. أهمية الدراسة.
2. أسباب اختيار الموضوع
3. أهداف الدراسة
4. الدراسات السابقة
5. حدود الدراسة
6. منهج الباحثة
7. هيكلية الدراسة

الفصل الأول

تعريف الظلم وأسبابه وأقسامه وبيان عواقبه

يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالظلم وأسبابه وأقسامه

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الظلم لغة واصطلاحاً
- المطلب الثاني: أسباب الظلم
- المطلب الثالث: أقسام الظلم

المبحث الثاني: عواقب الظلم في الدنيا والآخرة

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: عواقب الظلم في الدنيا
- المطلب الثاني: عواقب الظلم في الآخرة

الفصل الثاني

آيات أظلم الناس في السياق القرآني

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: آيات (أظلم الناس) في القرآن المكي والمدني

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: مناهج العلماء في التفريق بين المكي والمدني
- المطلب الثاني: فوائد معرفة المكي والمدني
- المطلب الثالث: آيات أظلم الناس في القرآن المكي والمدني
- المطلب الرابع: آراء المفسرين في توجيه لفظ (من أظلم)

المبحث الثاني: مناسبة آيات (من أظلم) لما قبلها وما بعدها في السياق القرآني

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف المناسبة لغةً واصطلاحًا
- المطلب الثاني: أهمية وفوائد علم المناسبة في القرآن الكريم
- المطلب الثالث: تعريف السياق القرآني لغةً واصطلاحًا
- المطلب الرابع: أهمية السياق القرآني
- المطلب الخامس: وجوه المناسبات في آيات أظلم الناس في السياق القرآني

الفصل الثالث

أصناف أظلم الناس في القرآن الكريم

يشتمل خمسة مباحث:

المبحث الأول: المانعون عمارة مساجد الله وعقوبتهم

وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول: معنى منع عمارة المساجد
- المطلب الثاني: آية منع عمارة مساجد الله وتفسيرها
- المطلب الثالث: عاقبة منع عمارة مساجد الله تعالى

المبحث الثاني: الكاتمون الشهادة وعقوبتهم

وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول: معنى الكتمان لغة واصطلاحاً
- المطلب الثاني: آية كتمان الشهادة في القرآن الكريم وتفسيرها
- المطلب الثالث: عاقبة كتمان الشهادة

المبحث الثالث: المفترون على الله، وعقوبتهم

وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول: تعريف الافتراء على الله لغة واصطلاحاً
- المطلب الثاني: الآيات التي ذكرت المفترين على الله وتفسيرها
- المطلب الثالث: عاقبة الافتراء على الله تعالى

المبحث الرابع: المكذبون بآيات الله، وعقوبتهم

وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول: معنى التكذيب بآيات الله لغة واصطلاحا.
- المطلب الثاني: الآيات التي ذكرت المكذبين بآيات الله وتفسيرها.
- المطلب الثالث: عاقبة الكذب على الله والتكذيب بآياته والصدف عنها

المبحث الخامس: المدعون الوحي افتراءً، وعقوبتهم

وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول: تعريف الوحي لغةً واصطلاحًا
- المطلب الثاني: الآيات التي ذكر فيها ادعاء الوحي وتفسيرها
- المطلب الثالث: عاقبة ادعاء الوحي

المبحث السادس: المعرضون عن آيات الله وعقوبتهم

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: معنى الإعراض لغة واصطلاحاً
- المطلب الثاني: الآيات التي ذكر فيها الإعراض عن ذكر الله وتفسيرها.
- المطلب الثالث: عاقبة المعرضين عن ذكر الله تعالى.

الخاتمة واشتملت على أهم النتائج والتوصيات

الفهارس:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام المغمورين المترجم لهم
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات (وقد جعلته بداية الرسالة وفق متطلبات البحث العلمي في الجامعة).

الفصل الأول

تعريف الظلم وأسبابه، وأقسامه، وبيان آثاره وعواقبه

المبحث الأول

التعريف بالظلم وأسبابه وأقسامه

توطئة:

كان الإسلام بمثابة ثورة شاملة على حياة العرب في الجاهلية في جميع جوانبه، الفكرية، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتي كانت تقوم في كثير من حيثياتها على الظلم والجور، فجاء محمد ﷺ ليقيم على أنقاض هذه الجاهلية مجتمع العدل والحرية والمساواة وفق مبدأ التوحيد: **(لا إله إلا الله، محمد رسول الله).**

فشهادة **(لا إله إلا الله)** كانت وما زالت تحريراً للإنسان وعقله من سلطان الخرافات والأوهام والأساطير، وكذلك تحريراً له من سلطة الآخر، فالدين بكل مكوناته ينتهي بالناس إلى عبادة الله تعالى، التي هي قمة الحرية والتحرر.

وقد بعث الله نبيه محمدًا ﷺ ليخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

والإسلام والظلم ضدان لا يلتقيان؛ لأن الظلم ظُلمة تَرين على القلب، فتمنع من رؤية طريق الحق، التي هي طريق الإسلام، وفي ذلك يقول ابن الجوزي– رحمه الله–: " وإنما ينشأ الظلم من ظلم القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى لنظر في العواقب" [1] ؛ لذلك فإن أضمن سبيل لمواجهة الظلم بصوره وأشكاله المختلفة هوالإيمان والتقوى، التي تزرع في القلوب حبّ العدل وأهله ونصرته، فشعور المؤمن بالرقابة يحثه على محاسبة نفسه، فينتصر للعدل وينصره، ويقف سداً منيعًا في وجه الظلم وأهله، لذلك نجد أن جلّ عناية المصلحين والدعاة والعلماء تتركز على بناء العقيدة في قلوب وعقول الناس، من أجل توحيد الله تعالى في الألوهية والربوبية، والأسماء والصفات، وعبادته وحده، والرضا بحكمه، والاستسلام لإرادته ومشيئته، وتجنب عبادة الأوثان والخضوع للطواغيت، فالقلب المستنير بعقيدة التوحيد لا يخاف الطغاة ولا يرهب الظَلمة وجبروتهم.

ولذلك يرى الماوردي أن صلاح الدنيا وانتظام أمورها يتحقق من خلال مجموعة من القواعد من أهمها[2]:

---

[1] فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ص 110.

[2] ينظر: أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، ص 141.

قاعدة العدل: والعدل هنا يعني العدل الشامل الذي يدفع إلى طاعة الله تعالى، ويصنع الود بين الناس ويؤدي إلى إعمار البلاد، ونمو المال، وتكاثر النسل، ويُؤمن به من جور السلطان، هذا الجور الذي يقود إلى خراب البلاد وفساد العباد، وفي ذلك ورد الأثر: " بِئْسَ الزَّادُ إلى المَعَادِ العُدوانُ عَلَى العِبَادِ" [1].

وحينما ننظر في أحوال العباد نجد أن الظلم طبيعة بشرية، وجبلة متأصلة في النفوس حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ [الأحزاب: 72]، فهذا هو الأصل في الناس: الظلم والجهل إلا من زكاه الله بالإيمان والتقوى، والعلم والهدى، والعدل والإنصاف. وقد صدق المتنبي حين قال:

والظلم من شيمِ النفوس فإن تجد*** ذا عفةٍ، فلعلة لا يظلمُ [2]

وقد أوضح الماوردي هذه العلة فقال: " وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء: إما عقل زاجر، أو دين حاجز، أو سلطان رادع، أو عجز صاد، فإذا تأملتها لم تجد خامساً يقترن بها" [3].

ويستدعي عنوان الدراسة قبل الحديث عن محاورها الرئيسة الوقوف أولاً عند لفظ الظلم لبيان حقيقته في الاستعمال اللغوي، ثم الاصطلاحي؛ لتحديد أوجه الاتفاق والاختلاف وبيان دلالات استعمال اللفظ.

المطلب الأول: تعريف الظلم لغة واصطلاحًا

أولاً: تعريف الظلم لغة: يقال ظَلَمَه يَظلِمُهُ ظَلْماً وظُلْماً ومَظْلِمةً، فالظَلْمُ مصدر حقيقيٌّ والظلُّمُ الاسم يقوم مقام المصدر، وهو ظالم وظَلوم، وتَظَلَّم منه شكا من ظُلْمِه وتَظَلَّم الرجل أحال الظُّلْمَ على نفسه. ويقال تَظَلَّمَ فُلان إلى الحاكم من فلان فظَلَّمه أي: أنصفه من ظالِمه وأعانه عليه.

وظَلَّمْتُ فلانا: نسبته إلى الظُّلم. والظُّلاَمة اسم ما تطلبه من مَظْلِمَتِكَ عند الظالم، والجمع المظالم [4].

---

[1] سير أعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، تحقيق: حسان عبد المنان، ج10، ص 42.

[2] ديوان المتنبي، أبو الطيب المتنبي، ص 490.

[3] أدب الدنيا الدين، ص 227.

[4] ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3، ص 469.

ولو نظرنا في معاجم اللغة نظرة فاحصة نجد أن لفظ الظلم قد عُرف عدة تعريفات، تكاد كلها تتفق في معناها، وسأعرض أهم هذه التعريفات ليتسنى الربط والموازنة بينها، ومنها:

ما أورده صاحب العين من أن الظلم يقع على معنيين [1]:

الأول: أخذ حق الغير.

الثاني: الشرك، واستدل بقولهﷻ: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: 13].

وعرف ابن فارس الظلم بقوله: " الظاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر: ظلمه يظلمه ظلمًا. والأصل: وضع الشيء في غير موضعه؛ ألا تراهم يقولون: " من أشبه [أباه] فما ظلم "، أي ما وضع الشبه غير موضعه.

والعلاقة بين الأصل الأول والثاني هي أن " الظُّلم ظلمة كما أن العدل نور **(الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَومَ القِيَامَةِ)** [2]، ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا** ﴾ [الزمر: 69]" [3] وإذا كان الظلام يمنع الرؤية ويسدها فإن الظلم أيضًا ظلمة ترين على القلوب فتمنعها من رؤية الحق وأداء الحقوق إلى أهلها ووضع الأمور في الموضع المناسب لها شرعًا.

وقيل: إن الظلم هو النقص، ومنه قوله تعالى: ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا**﴾ [الكهف: 33]، أي لم تنقص منه شيئًا، والظلم كذلك مجاوزة الحد، ومنه حديث الوضوء:

(هكَذا الوُضوءُ فمَن زادَ علَى هذا فقَد أساءَ وتعدَّى، وظلمَ) [4]، أي أساء الأدب بتركه السنة والتأدب بأدب الشرع، وظلم نفسه بما نقصها من الثواب بِتْرَدَادِ المرات في الوضوء [5].

وقد عرف العسقلاني الظلم بأنه: اسم لما أخذ بغير الحق [6].

ويطلق الظلم عند بعض اللغويين ويراد به:

---

[1] ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيد، ج8، ص 163.

[2] صحيح البخاري، البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ص 429، رقم 2447، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص 1245، رقم 2579، كلاهما من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

[3] أساس البلاغة، الزمخشري، ج1، ص 626.

[4] صحيح أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء ثلاثًا ثلاثا، ج1، ص 222، رقم 124، صححه الألباني وقال إسناده حسن صحيح.

[5] ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج1، ص 234

[6] ينظر: المرجع السابق نفسه.

أولاً: وضع الشي في غير موضعه، ومن أمثال العرب في الشبه، من أشبه أباه فما ظلم، ما ظلم؛ أي ما وضع الشبه في غير موضعه. وفي المثل: " من استرعى الذئب فقد ظلم".

ثانيًا: الميل عن القصد أو العدول عن الحق إلى الباطل: والعرب تقول الزم هذا الصواب ولا تظلم عنه أي لا تَجُر عنه.

ثالثًا: أخذ حق الغير: يقال: لهو أظلم من حيةٍ، لأنها تأتي الجُحر لم تحفره فتسكنه.

رابعاً: الظلم والجور ومجاوزة الحد، أو النقصان والزيادة، ومنه قوله تعالى: ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا**﴾ [الكهف: 33]. أي ولم تنقص منه شيئا.

خامسًا: المنع: يقال: ما ظلمك عن كذا، أي ما منعك. والظلمة المانعون أهل الحقوق حقوقهم [1].

فإذا كانت هذه التعريفات للظلم في الوضع اللغوي، وهي في الحقيقة لا تعارض بينها، فهل استخدم العلماء نفس المعاني للتعريف الاصطلاحي؟

ثانيًا: تعريف الظلم اصطلاحًا:

يعرف الجرجاني الظلم بأنه: " عبارة عن التعدِّي عن الحق إلى الباطل وهو الجور. وقيل: هو التصرُّف في ملك الغير، ومجاوزة الحد" [2].

وقد عرفه ابن عاشور بقوله: " الظلم الاعتداء على حق الغير بالتصرف فيه بما لا يرضى، ويطلق على وضع الشيء في غير ما يستحق أن يوضع فيه، والمعنيان صالحان" [3].

ويلاحظ أن ابن عاشور قد اتفق في تعريفه مع الجرجاني إلا أنه قيده بما لا يرضي صاحب الحق، فأخرج بذلك من الظلم التصرف في ملك الغير إذا كان بما يرضيه. ولكن رضا صاحب الحق ليس معيارًا لكون التصرف في ملكه ظلمًا؛ لأنّ من أنواع الظلم في حق الناس ما يقع برضا صاحبه، كالربا والرشوة والقمار، والزنا، رغم أن الشارع الحكيم لا يرضاها لما فيها من ظلم، فرضا صاحب الحق لا يخرجها من دائرة الظلم إنما المعيار هو رضا الشريعة الإسلامية.

---

[1] ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، ج14، ص 382- 388، لسان العرب: ابن منظور، ج4، ص 2756- 2760.

[2] التعريفات، الجرجاني، ص 148.

[3] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1، ص 680

أما الكفوي فقد جمع بين عدة معانٍ في تعريفه للظلم فقال: " الظلم " بالضم": وضع الشيء في غير موضعه؛ والتصرف في حق الغير؛ ومجاوزة حد الشارع. ومن الأول: " من استرعى الذئب فقد ظلم" [1].

وترى الباحثة أن هذا التعريف لا يعطي مفهوما دقيقًا للظلم، وإن كان وضع الشيء في غير موضعه أحيانًا من قبيل الظلم، ولكن ليس دائمًا؛ فكثيرًا ما يسيء الإنسان التصرف؛ فيضع الأمور في غير موضعها، لا من باب الظلم، بل نتيجة لافتقار الحنكة والحكمة.

وأما صاحب التفسير الكبير فقد عرف الظلم بقوله: " في عرف الشرع عبارة عن الضرر الخالي من نفع يزيد عليه ودفع مضرة أعظم منه والاستحقاق عن الغير في علمه أو ظنه، فإذا كان الفعل بهذه الصفة كان فاعله ظالمًا" [2]. ويلاحظ على هذا التعريف أنه جاء مختلفا من حيث اللفظ عما سبقه من تعريفات، إذ احتكم إلى معيار الضرر والمنفعة الشرعية لتعريف الظلم، فجعل من الضرر الخالص والمشوب بمنفعة ولكنها أقل منه، والذي لا يدفع مضرة أعظم منه، والعلم أو الظن بعد الأحقية بالشيء ظلمًا.

المطلب الثاني: أسباب الظلم

توطئة:

نزه الله ﷻ نفسه عن الظلم في آيات كثيرة في محكم كتابه العزيز، ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر، حيث قالﷻ: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: 108]، وقولهﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: 40]، وقوله عز وجل: ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ **[الكهف: 49]** ﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ**﴾ [غافر: 31].

كما رفض الخطاب القرآني الظلم وحرمه، ولم يوجب الصبر عليه، فقال الله ﷻ مخاطبًا المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ* وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [الشورى: 39- 43].

---

[1] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 594- 595.

[2] التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، ج3، ص 513.

وقد تحدث القرآن الكريم عن دوافع الظلم بجميع أنواعه وأسباب الوقوع فيه، وأسباب انتشاره، وهذه الأسباب التي يصعب حصرها كلها ناجمة عن البعد عن ذكر الله وعدم الخوف منه مما ينتج عنه الأمراض القلبية كالحسد، والغيرة، والحقد، واتباع الظنون والشهوات الناشئة عن حب الدنيا وزينتها ومتاعها الزائل، حيث قال الله ﷻ: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص: 50]، أيضا قوله ﷻ: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [النمل: 14].

للظلم أسباب عديدة أهمها:

أولًا: اتباع الشيطان:

لقد حذرنا الله تعالى من الشيطان، وبين لنا عداوته فهو العدو الأول، يتضح ذلك في قوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة: 208]، وقد كان الشيطان سببًا في خروج آدم عليه السلام من الجنة إلى الحياة الدنيا ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ [البقرة: 36]، كما أنه يتوعد الإنسان بالغواية والضلال ويمنيه الأماني الكاذبة حتى يرتكب ما نهاه الله تعالى عنه، ويحدث التغيرات في خلق الله.

والمولى تبارك في علاه بين لنا هذا وحذرنا من اتباع الشيطان وما يعد من غرور للإنسان ليضله وليكون من حزبه وأعوانه، يقول الله عز وجل: ﴿**إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا *لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا* وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا* يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا* أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا**﴾ [النساء: 117-121]، كما أنه يعد العباد بالفقر ويأمرهم بالفحشاء ويجعل الدنيا أكبر همهم ومبتغاهم، فيحثهم على كل ما يغضب الله. يقول ﷻ: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 268].

فالشيطان يستحوذ على العقول والقلوب فينسي الإنسان ذكر ربه وينهاه عما أمره به حتى يصبح من الخاسرين، وهذا ما بينه سبحانه في قوله: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19]. فالشيطان أحد أعداء الإنسان وهو العدو الأكبر، والمحرك الأساس للأعداء الآخرين.

ثانيًا: النفس [1]:

وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس والتحقيق أنها نفس واحدة بدليل قوله عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء: 1]، ولكن لها صفات، فتسمى باعتبار كل صفة باسم. هذه الأنواع الثلاثة هي:

1. **نفس مطمئنة** وهي التي اطمأنت إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه، والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه، ويحتجون على ذلك بقوله عز وجل: **﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾** [الفجر: 27] ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره، وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** [الرعد: 28] فإن طمأنينة القلب وسكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، وهذا لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره البتة، وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور، والثقة به عجز قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج، بل لو اطمأن العبد إلى علمه وحاله وعمله سلبه؛ فالمتعلق بغير الله مقطوع والمطمئن إلى سواه مصدود.
2. **نفس لوامة وهي** التي أقسم بها سبحانه في قوله عز وجل: **﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾** [القيامة: 1-2] واختلف فيها، فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حال واحدة، أخذوا اللفظة من التلوم، وهو التردد، فهي كثيرة التقلب والتلون، وهي من أعظم آيات الله، فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلًا عن اليوم والشهر والعام والعمر ألوانًا، فتذكر وتغفل وتقبل وتعرض، وتنيب وتجفو، وتحب وتبغض، وترضى وتغضب وتطيع وتعصي، وتتقي وتفجر...فهي تتلون كل وقت ألوانًا كثيرة.[2]

وقالت طائفة: اللفظة مأخوذة من اللوم، ثم اختلفوا فقيل: هي نفس المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائمًا، وقيل: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب، ثم تلومه عليه، فهذا اللوم من الإيمان بخلاف الشقي، فإنه لا يلوم نفسه على ذنب، بل يلومها وتلومه بعد فواته.

---

[1] ينظر: الروح، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد تامر، ص 266- 274

(2)ينظر: خواطر الإنسان بين مناظري علم النفس والقرآن، وليد عبد الله ازريق، (ص:33)

وقيل: بل هذا اللوم للنوعين، فإن كل أحد يلوم نفسه برًا كان أو فاجرًا.

وقالت طائفة أخرى: هذا اللوم يوم القيامة، فإن كل أحد يلوم نفسه إن كان مسيئًا على إساءته، وإن كان محسنًا على تقصيره.

وهذه الأقوال كلها حق، ولا تنافي بينها، فإن النفس موصوفة بهذا كله، وباعتباره سميت لوامة، ولكن اللوامة نوعان:

لوامة ملومة: وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته.

ولوامة غير ملومة: وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده، فهذه غير ملومة.

3. **نفس أمّارة** وهي المذمومة، فإنها تأمر بكل سوء، وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها، فما يخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله له، كما قال الله عز وجل حاكيًا على لسان امرأة العزيز: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [يوسف: 53] النفس الأمارة جعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها، فهو يعدها ويمنيها، ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء ويزينه لها، ويطيل في الأمل ويريها الباطل في صورة تقبلها وتستحسنها ويمدها بأنواع الإمداد الباطل من الأماني الكاذبة والشهوات المهلكة، ويستعين عليها بهواها وإرادتها فمنه يدخل عليها كل مكروه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: 21].[1]

ثالثًا: اتباع الهوى:

بين القرآن الكريم أن اتباع الأهواء بغير علم من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الوقوع في الظلم، بل والتوغل فيه، لا سيما إذا طغى تأثيرها على الإنسان وأطلق لها العنان دون احتكام إلى شريعة أو حجة أو برهان يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾ [الروم: 29]، وقد جاء الوعيد في محكم التنزيل لمن اتبع الهوى، وعدل عن شرع الله فهوى، قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا**

---

[1] ينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن قيم الجوزية، ج1، ص 75- 78.

﴿يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]، وقد حذر الله منه في أكثر من موضع في سياقات مختلفة فقال ﷻ: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ [النساء: 135]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: 40].

وآيات القرآن الكريم حين صورت صاحب الهوى: إنما رسمت صورة إنسان عصى، وظلم، وفسق، وفجر، إنسان إن زُجِر لا يزدجر، وإن بصر لا يستبصر، وإن أمر لا يأتمر، إنسان إلى ملذات النفس هوى لا يستجيب إلا لداعي الهوى، ولمن إليه روج ودعا، إنسان خالف الشرع، وخادع العلم، وحاد عن الصراط المستقيم [1].

والأهواء جمع هوى وهو "الحُب البليغ بحيث يقتضي طلب حصول الشيء المحبوب ولو بحصول ضر لمحصله، فلذلك غلب إطلاق الهوى على حب لا يقتضيه الرشد ولا العقل، ومن ثَمّ أطلق على العشق، وشاع إطلاق الهوى في القرآن على عقيدة الضلال ومن ثم سمى علماء الإسلام أهل العقائد المنحرفة بأهل الأهواء" [2].

يقول ابن تيمية عن المبتدعة: " إن أصحابها لا بد أن يقعوا في الآصار، والأغلال، وإن كانوا متأولين فلا بد لهم من اتباع الهوى، ولهذا سمي أصحاب البدع أصحاب الأهواء، فإن طريق السنة علم، وعدل وهدى، وفي البدعة جهل، وظلم، وفيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس..." [3].

وقد عرفه الجرجاني بقوله: " الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من غير داعية الشرع" [4].

وعلى الإطلاق فإن الباحثة من خلال اطلاعها ترى أن الهوى هو ميل النفس إلى شهواتها بما يخالف الشرع.

وقد أعلم الله النبي بأن اتباع الأهواء هو السبب الذي دفع الظالمين من أهل الكتاب بعد قيام الحجة والبرهان إلى الإعراض عن الحق واتباع الباطل، والاستمرار في الظلم، وقطع الأمل في إقلاعهم عنه؛ لأنّ ظلمهم ليس عن شبهة حتى يزال بالحجة، ولكنه مكابرة وعناد فلا جدوى في إطناب الاحتجاج عليهم. فهذا دأبهم وطبيعتهم.

---

[1] ينظر: الهوى دراسة موضوعية للمصطلح القرآني، محسن سميح الخالدي، مجلد 37، العدد 2، ص 456.

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج2، ص 37.

[3] الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية، ص 9.

[4] التعريفات، الجرجاني، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ص 320.

وحذر من اتباع أهوائهم أو الإصغاء والركون إلى شيء من ذلك، وجاء بتهديد ووعيد لكل من يتجرأ على ذلك؛ فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 145]

أي: داخل فيهم، مندرج في جملتهم، أي ظلم أعظم من ظلم من علم الحق والباطل، فآثر الباطل على الحق" [1].

وعليه فإن شريعة الله المستقيمة واحدة، وهي التي تستحق الاتباع، وما عداها أهواء منبعها الجهل. وعلى صاحب الدعوة أن يتبع الشريعة وحدها، ويدع الأهواء كلها. وعليه ألا ينحرف عن شيء من الشريعة إلى شيء من الأهواء. فأصحاب هذه الأهواء أعجز أن يغنوا عنه من الله صاحب الشريعة" [2]، يقول الحق ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18].

واتباع الأهواء يفضي إلى الثواء في الجحيم، فهي مستقر الظالمين ومأواهم، بخلاف الإعراض عنها وعدم الاستجابة لنداء الشهوات المحرمة فإنه يقود إلى الجنة؛ لقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 39- 41].

لذلك حذر الحق من اتباع الهوى والخضوع للشهوات، والميل مع نزعات النفس الأمارة بالسوء؛ لأنها تقود إلى الظلم، وتمنع من العدل؛ ويتضح ذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135].

ومجمل الحديث أنّ اتباع الإنسان لأهواء النفس دون ضابط شرعي ووازع ديني، سبب للوقوع في الظلم، والانزلاق في عواقب الظلم المدمرة، فمركب الظلم لا نجاة فيه وهو غارق لا محالة في قعر جهنم، وإلا فالسلامة والنجاة بجعل هوى النفس وفقًا لأوامر الله ومنهاج شريعته. فالعدل ما وافق الشريعة والظلم ما خالفها.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص 72

[2] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5، ص 3229.

رابعًا: سوء الظن:

نهى القرآن عن سوء الظن، فقال الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: 12]. والظن في الاصطلاح هو: " الاعتقاد المخطئ عن غير دليل، الذي يحسبه صاحبه حقًا وصحيحًا، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ [يونس: 36] ومنه قول الرسول ﷺ: **(إيَّاكم والظنَّ, فإن الظنَّ أكذبُ الحديث)** [1] والظن كثر إطلاقه في القرآن والسنة على العلم المخطئ أو الجهل المركب والتخيلات الباطلة [2]، وليس هو الظن الذي اصطلح عليه فقهاؤنا في الأمور التشريعية، فإنهم أرادوا به العلم الرّاجح في النّظر، مع احتمال الخطأ احتمالًا مرجوحًا، لتعسر اليقين في الأدلة التكليفية" [3].

ويعدّ سوء الظن واتباعه من أسباب الظلم؛ يقول المولى ﷻ: ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾ [النجم: 22– 23].

ففي الآية التفات من خطاب الظالمين، إلى الحديث عنهم بصيغة الغائب، فهم لا يتبعون إلا الظن، فلا تلتفت إلى قولهم، والمراد من ذلك الظن رجوعهم في إثبات مذاهبهم إلى تقليد أسلافهم لا إلى التعليل [4].

واتباع الظنون الكاذبة والشكوك الباطلة التي لا تستند على الحجة، ولا تقوم على النظر والتدبر، ولا على العلم واليقين، ولا تستنير بنور الكتاب والسنة، ولا تهتدي بهدى الله تؤدي إلى الوقوع في دائرة الظلم، سواء في الاعتقادات والتصورات، أو المعاملات بين الناس؛ لذلك دعا القرآن الكريم إلى اجتناب الظن، وقد جاء ذمه في عدة آيات في القرآن لخطورته، وما يترتب عليه من أضرار وآثار من شأنها أن تغرس بين الناس العداوة والبغضاء، وذكرت الآيات عقاب من يظن بالآخرين السوء في الدنيا والآخرة، ذلك لما يترتب عليه من فساد في العقائد وشبكة العلاقات الاجتماعية، قال ﷻ: ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [فصلت: 23].

خامسًا: الجهل:

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض، ص 1244، برقم (2563).

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج11، ص 166.

[3] المرجع السابق، ج8، ص 26.

[4] ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، ج28، ص 251

يعدّ الجهل أحد أسباب الظلم التي تحدث عنها القرآن الكريم؛ فالجهل عدو الإنسان، يقول الله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: آية: 71].

" الضمير في ﴿ وَيَعْبُدُونَ ﴾ يعود إلى الكافرين الذين سيطرت عليهم الأوهام والأهواء والتقليد، يعبدون ما لم تنزل به حجة ترشدهم إلى عبادته، والسلطان في قوله ﷻ: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، أي حجة نقلية نزلت من عند الله تعالى، وسميت سلطانا؛ لأنها تكون قوة تجعل لمن نزلت له قوة تجعل ما عنده قويًا كالسلطان ولكن لم ينزل شيء من ذلك، وإذا كان لم ينزل دليل نقلي من عند الله بعبادته، هل لديهم برهان عقلي ينتج يقينا؛ نفى الله تعالى ذلك أيضا فقال تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾، أي ليس لهم به برهان عقلي يسوغ عبادتهم، بل إن البرهان العقلي يؤدي إلى نقيضه؛ لأنه لا يسمع ولا يبصر، والقانون العقلي يوجب أن يكون المعبود أعظم من العابد، فكيف يعبدون جمادا، وهم أحياء، وهو لا يعقل، وهم يعقلون؟؟!!!" [1].

وإذا لم يكن عندهم دليل من عند الله أنزله فكان لهم سلطان، ولا علم عقلي فإن ذلك يكون ظلمًا؛ ولذا ختم الله سبحانه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾، وإذا كانوا يعبدون ما لا دليل عليه من نقل أو عقل، ويشركون مع خالقهم في العبادة، وهو الواحد الأحد، فإن ذلك لأنفسهم ولقولهم ضلال وفساد، وقد نفى الله تعالى أن يكون لهم نصير أي نصير؛ إذ لا يمكن أن يكون نصيرا أمام قوة الله [2].

ونتيجة لجهلهم عبدوا ما اختلقوه، وسارعوا إلى التكذيب بالقرآن قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه. وإنما يكون مثل هذا التكذيب عن مكابرة وعداوة لا عن اعتقاد كونه مكذوبًا، يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 39]. فالجهل بالقرآن من الأسباب الداعية إلى الوقوع في الظلم والاستشراء فيه، وفهم الناس للقرآن حق فهمه، ومعرفة ما فيه من الهدى، وما يحمله لهم من الخير والسعادة، والإحاطة بذلك علمًا، من أقوى الأسباب الداعية إلى الإذعان والتصديق بما فيه، والاحتراس من الظلم أو الإقلاع عنه.

لقد كان الجهل من بين الأسباب التي أدت إلى وقوع الأمم السابقة في الظلم؛ فأفضى بهم إلى الاستئصال والإهلاك الذي لم يبق منهم أحدًا، عن طريق الخسف أو الغرق، أو الصيحة أو

---

[1] زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ج9، ص 5026- 5027.

[2] ينظر: المرجع السابق، ج9، ص 5027.

غير ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 39] والمعنى انْظُرْ بِعَيْنِكَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ، من حالَة خَرابِ مَنازِلِهِمْ خَرابًا نَشَأ مِنِ اضْمِحْلالِ أهْلِها [1].

فالآية تدعو للاعتبار من مآل الظالمين الغابرين؛ من أجل اتقاء الظلم أو الإقلاع عنه. فجهل الظالمين بحقيقة القرآن، وعدم معرفتهم لما فيه من الهدى، وما ينطوي عليه من سبل تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وعدم فقههم لمقاصده وغاياته وما يحمله من قيم عليا، والوعد على العدل والوعيد على الظلم، من الأسباب الداعية إلى الوقوع في الظلم بأنواعه.

سادسًا: الاستكبار:

كان ابليس أول من استكبر عن أمرالله وعبادته حسدًا وتجبرًا؛ فقد رفض أن يسجد لآدم عليه السلام استكبارًا وبه اقتدى الظالمون، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ **[البقرة: 34]**، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75]، وبإبليس اقتدى الظالمون والمشركون، فقد بين الله حالهم، وما كانوا عليه من الاستكبار والتجبر والعناد، الذي كان يدفعهم إلى الكفر بالقرآن الكريم والإصرار على الباطل، والصد عن قبول الحق، رغم علمهم بصحته وإعجازه.

ولا أحد أظلم ممن دعاه استكباره وتعنته وتعاظمه إلى ادعاء النبوة، أو ادعاء القدرة على قول ما يماثل القرآن، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

لقد كان الاستكبار سببًا فيما آلت إليه الأمم والأقوام الغابرة، التي عتت عن أمر ربها وتجبرت وأعجبت بكثرة مالها وقوة سلطانها، فكان مصيرها الهلاك والدمار في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

يقول الله ﷻ مبينًا حال قوم عاد: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15] فقوم عاد وقعوا في الظلم بسبب استكبارهم الناشئ عن اغترارهم بقوة أجسامهم وشدة بطشهم، حيث

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج11، ص 173

أورثهم هذا الاستكبار الاستخفاف بمن عداهم، فلما جاءهم هود عليه السلام بإنكار ما هم عليه من الظلم، عظم عليهم ذلك؛ لأنهم اعتادوا العجب بأنفسهم وأحوالهم، فكذبوا رسولهم ولم يتفكروا في خالقهم الذي أمدهم بهذه القوة وتلك البسطة في الجسم، هو الشعور الكاذب الذي يحسه الظالمون. الشعور بأنه لم تعد هناك قوة تقف إلى قوتهم، كأنهم لم يعلموا أن الله الذي أحاط بكل شيء علمًا وقدرة وهو الذي خلقهم، ولم يكونوا شيئًا، أشد منهم قوة، لأنّ من علم أن غيره أقوى منه وكان عاقلًا انقاد له فيما ينفعه ولا يضره، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله، وأصروا على الظلم بل والتعدي على معجزة رسولهم وهي الناقة، فقتلوها، فأهلكهم الله بما لا يترقب الناس الهلاك به، وهو ريح شديدة قوية، باردة مزعجة الصوت، في أيام نحس، واستمر هذا العذاب لسبع ليالٍ وثمانية أيام ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: 7-8]

وهذا الاستكبار فيه " وجهان، الأول: إظهار النخوة والكبر، وعدم الالتفات إلى الغير، والثاني: الاستعلاء على الغير واستخدامهم" [1].

أما فرعون وجنوده، فلما ظنوا عدم الرجوع إلى الله، استكبروا في الأرض بغير الحق، قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 39]. فهم " رأوا كل من سواهم حقيرًا، ولم يروا العظمة والكبرياء إلا لأنفسهم فنظروا إلى غيرهم نظر الملوك إلى العبيد" [2] والاستكبار: أشد من الكبر، أي تكبّر تكبراً شديدًا إذ طمع في الوصول إلى الرب العظيم وصول الغالب أو القرين.

واستكبار فرعون هو الأصل، واستكبار جنوده تبع لاستكباره؛ لأنهم يتّبعونه ويتلقون ما يمليه عليهم من العقائد [3].

واستكبار فرعون وجنوده واستكبار غيرهم لا يكون إلا بغير الحق؛ لأن الاستكبار بالحق إنما هو لله وحده المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ- المتناهي- في كبرياء الشأن [4].

وقد كانت عاقبة استكبار فرعون وجنوده؛ الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة؛ ليرى العاقل كيف كان عاقبة ظلمهم، بإهلاك الله إياهم، وإغراقهم عن آخرهم في لحظة واحدة. يقول الله

---

[1] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، ج27، ص 552.

[2] روح المعاني: شهاب الدين الألوسي، تحقيق، علي عبد الباري، ج10، ص 290.

[3] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 20، ص 124.

[4] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج3، 415.

عز وجل مبينًا ذلك: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[طه: 78]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 40].

وصفة " الكبرياء" من صفاته الله جل في علاه، ولا تليق هذه الصفة إلا له، فهو المستحق لذلك وحده، وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: 37]. وقال رسول الله ﷺ فيما حكى عن ربه: "**الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، فمَن نازعَني واحدًا منهُما، قذفتُهُ في النَّارِ**" [1].

وقصص الظالمين المستكبرين في القرآن كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، وقد أوردت الباحثة من القصص ما فيه تذكرة وعبرة لكل مستكبر لا يؤمن بيوم الحساب؛ فالشعور بالعظمة، والإعجاب بالمال والثراء والسلطان تجعل الإنسان يرى نفسه فوق العبودية لله ﷻ وتدفعه إلى التكبر والتجبر، والتعالي عن طاعة الله، ورفض الخنوع والخضوع لأوامره ونواهيه، فيقع بحبال الشرك والعياذ بالله؛ فيظلم نفسه ويظلم العباد.

وترى الباحثة ومن خلال الدراسة والاطلاع أن هناك أسباب كثيرة تدفع الإنسان للوقوع في الظلم حيث إن آفات النفس لا حصر لها: فالسكوت عن الحق ظلم، والسعي للانتقام ظلم، والحسد والغيرة ظلم، الغيبة والنميمة ظلم، وغيرها الكثير التي لا يتسع المجال لذكرها مفصلة هنا، وهي تدفع إلى الوقوع في الظلم بأنواعه.

المطلب الثالث: أقسام الظلم:

توطئة:

اتضح لنا مما سبق أن الظلم عبارة عن مجاوزة الحدود الشرعية، والتعدي على حدود الله، وقد ذكر ابن تيمية في كتابه مجموع الفتاوى أن الحسنات كلها عدل والسيئات كلها ظلم وأن الله عز وجل إنما أنزل الكتب وأرسل الرسل؛ ليقوم الناس بالقسط، وذكر أن القسط والظلم نوعان: نوع في حق الله تعالى كالتوحيد فإنه رأس العدل، والشرك رأس الظلم ونوع في حق العباد؛ إما مع حق الله كقتل النفس أو مفردا كالدين الذي ثبت برضا صاحبه، ثم إن الظلم في حق العباد نوعان: نوع يحصل بغير رضا صاحبه: كقتل نفسه، وأخذ ماله، وانتهاك عرضه، ونوع يكون برضا صاحبه وهو ظلم: كمعاملة الربا والميسر، فإن ذلك حرام لما فيه من أكل مال غيره بالباطل، وأكل المال

[1] سنن أبي داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، ج2، ص 59، برقم (4090)، وصححه الألباني في الصحيح الجامع.

بالباطل ظلم؛ ولو رضي به صاحبه لم يبح ولم يخرج عن أن يكون ظلمًا فليس كل ما طابت به نفس صاحبه يخرج عن الظلم وليس كل ما كرهه باذله يكون ظلما بل القسمة رباعية:

أحدها: ما نهى عنه الشارع وكرهه المظلوم.

الثاني: ما نهى عنه الشارع وإن لم يكرهه المظلوم كالزنا والميسر.

والثالث: ما كرهه صاحبه ولكن الشارع رخص فيه فهذا ليس بظلم.

والرابع: ما لم يكرهه صاحبه ولا الشارع؛ وإنما نهى الشارع عن ما يرضى به صاحبه إذا كان ظلما[1].

أقسام الظلم:

قال ابن القيم: " **الظلم ثلاثة دواوين؛ فديوانٌ لا يَغفِرُ اللهُ منه شيئًا، وديوانٌ لا يَعبَأُ اللهُ به شيئًا، وديوانٌ لا يَترُكُ اللهُ منه شيئًا، فأما الديوانُ الذي لا يَغفِرُ اللهُ منه شيئًا فالإشراكُ باللهِ، وأما الديوانُ الذي لا يَعبَأُ اللهُ به شيئًا ؛ فظلمُ العبدِ نفسَه فيما بينه وبين ربِّه، مِن صومِ يومٍ ترَكه أو صلاةٍ ترَكها، فإنَّ اللهَ يَغفِرُ ذلك إن شاء ويتجاوَزُ. وأما الديوانُ الذي لا يَترُكُ اللهُ منه شيئًا فمَظالِمُ العبادِ بينهم: القصاصُ لا محالةَ**" [2].

أما النوع الأول: فديوانٌ لا يَغفِرُ اللهُ منه شيئًا، وهو الإشراك بالله:

إن المؤمن الذي يؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولًا يخاف من ارتكاب المعاصي ما صغر منها وما كبر؛ لأن الوقوع في المعاصي وارتكابها سبب في غضب الله، الشرك أعظم ذنب عُصي الله به، ويتضح ذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13] والخبر في الآية إنكاري فلم يكتف بالتسمية بل أكدها بحرفي التوكيد " إن" و " اللام" حتى لا يدع مجالًا للشك في أن الشرك من أعظم أنواع الظلم علاوة على أنه ظلم.

---

[1] ينظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق، عبد الرحمن بن قاسم، ج20، ص 79-80.

[2] ينظر: الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ، تحقيق عبد الرحمن قائد (ص 40)

وقد سمي الشرك باسم الظلم العظيم؛ لأنّ " أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن أشرك بالله، وجعل الربوبية مستحقة لغيره أو عدل به شيئا، واتخذ معه ندًا فقد أتى الظلم، ووضع الشيء في غير موضعه ومستقره" [1]. وقد يكون الشرك هنا أعظم (أكبر) أو أصغر.

فالشرك الأعظم (الأكبر) هو [2] اعتقاد شريك لله تعالى في ألوهيته، وهو شرك الجاهلية، وهو المراد بقوله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: 116]. وقد فسر صاحب المنار هذه الآية قائلًا: " روى ابن المنذر عن أبي مجلز قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: 53]، قام النبي ﷺ على المنبر فتلاها على الناس، فقام إليه رجل فقال: والشرك بالله؟ فسكت ثم قام إليه فقال: يا رسول الله والشرك بالله؟ فسكت مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ [3].

أو هو " أن يجعل لله أندادًا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو اله، ويحبه كما يحب الله، ويخشاه كما يخشى الله. وبالجملة فهو أن يجعل لله ندًا يعبده كما يعبد الله" [4]. ومن صرف شيئًا من العبادات المختلفة لغير الله تعالى فقد وقع في الشرك؛ لقوله تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [الحج: 71]، وقال تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [يونس: 18].

يقول ابن القيم: " فأي ظلم أقبح من هذا؟ وأي حكم أشد جورًا من هذا؟ حيث عدل من لا عدل له بخلقه، فعدل المشرك من خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فيا له من عدل تضمن أكبر الظلم وأقبحه!!!" [5].

---

[1] أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، الخطابي، تحقيق: محمد آل سعود، كتاب الإيمان، باب الظلم دون ظلم، ج1، ص 162- 163.

[2] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، ج5، ص 181.

[3] لباب النقول للسيوطي (ص: 169)

[4] وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز بن ناصر الجليل، ج4، ص52.

[5] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، ص 133

" وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى, فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ﷻ, وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها" [1].

وحقيقة الشرك في الألوهية هو: " الشعور بسلطةٍ وتأثيرٍ وراء الأسباب والسنن الكونية لغير الله تعالى، وكل قول وعمل ينشأ عن ذلك الشعور، والشرك في الربوبية هو: الأخذ بشيء من أحكام الدين والحلال والحرام عن بعض البشر دون الوحي، وهذا النوع من الشرك هو الذي أشار الأستاذ الإمام وقد فسر النبي ﷺ قوله تعالى في أهل الكتاب كُلِّهِمْ: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة: 31]﴾ أنهم اتبعوهم فيما يحلون ويحرمون لا أنهم سموهم أربابًا [2]".

فأهل الظلم العظيم إنما يعبدون من دون الله آلهة من الأصنام والأوثان أو من الناس وغير ذلك، ويتوجهون إليها بما لا يحق من العبادات إلا لله سيان في ذلك بين العبادات المتعلقة باللسان والقلب والجوارح. رغم أن هذه الآلهة كلها محرومة من القوة، لم ينزل الله بها قوة من عنده، فهم لا يعبدونها عن علم ولا دليل يقتنعون به، وإنما هو الوهم والخرافة. وما لهم من نصير يلجأون إليه بعد أن حرموا من نصرة الله العزيز القدير [3] قال الله ﷻ: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [الحج: 71].

أما الحكمة في عدم مغفرة الشرك فهي أن الدين إنما شرع لتزكية نفوس الناس وتطهير أرواحهم وترقية عقولهم، والشرك هو منتهى ما تهبط إليه عقول البشر وأفكارهم ونفوسهم، ومنه تتولد جميع الرذائل والخسائس التي تفسدُ البشر في أفرادهم وجمعياتهم؛ لأنه عبارة عن رفعهم لأفراد منهم أو لبعض المخلوقات التي هي دونهم أو مثلهم إلى مرتبة يقدسونها ويخضعون لها ويَذِلُون بدافع الشعور بأنها ذات سلطة عليا فوق سنن الكون وأسبابه، وأن إرضاءها وطاعتها هو عين طاعة الله تعالى، أو شعبة منها لذاتها، فهذه الخلة الدنيئة هي التي كانت سبب استبداد رؤساء الدين والدنيا بالأقوام والأمم واستعبادهم إياهم وتصرفهم في أنفسهم وأموالهم ومصالحهم ومنافعهم

---

[1] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكمي، ج2، ص 459.

[2] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ج5، ص 220

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج17، ص 2443

تصرف السيد الملك القاهر بالعبد الدليل الحقير، وناهيك بما كان لذلك من الأخلاق السافلة والرذائل الفاشية [1].

والتوحيد الذي يناقض الشرك: هو عبارة عن إعتاق الإنسان من رق العبودية لكل أحد من البشر، وكل شيء من الأشياء السماوية والأرضية، وجعله حرًا كريمًا عزيزًا لا يخضع خضوع عبودية مطلقة إلا لمن خضعت لسننه الكائنات، بما أقامه فيها من النظام في ربط الأسباب بالمسببات، فلسننه الحكيمة يخضع، ولشريعته العادلة المنزلة يتبع، وإنما خضوعه هذا خضوع لعقله ووجدانه، لا لأمثاله في البشرية وأقرانه، وأما طاعته للحكام فهي طاعة للشرع الذي رضيه لنفسه، والنظام الذي يرى فيه مصلحته ومصلحة جنسه، لا تقديسًا لسلطة ذاتية لهم، ولا ذلًا واستخذاءً لأشخاصهم، فإن استقاموا على الشريعة أعانهم، وإن زاغوا عنها استعان بالأمة فقومهم [2].

والشرك الأصغر:

وهو كل وسيلة يمكن أن تؤدي إلى الشرك الأكبر ولم تبلغ رتبة العبادة ولا يخرج فاعله من الإسلام ولكنه من الكبائر. وكان الرسول أخوف ما يخاف على أمته الشرك الأصغر لأنه خفي على العبد فقد يقع فيه وهو لا يعلم، أو قد يتهاون به لفظًا أو فعلًا فيقع في ذلك، وهذا النوع يشير إليه قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: 110].

عن محمود بن لبيد الأنصاري‌رضي الله عنه [3] أن رسول الله ﷺ قال: " **إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ، قالوا: وما الشِّركُ الأصْغَرُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: الرِّياءُ؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لهم يومَ القِيامةِ إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالِهم: اذْهَبوا إلى الذين كنتُم تُراؤون في الدُّنيا، فانظُروا هل تَجِدون عِندَهُم جزاءً؟!**" [4].

---

[1] ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ج5، ص 120- 121

[2] ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ج5، ص 121.

[3] محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأنصاري، أبو نعيم الأنصاري، الأوسي، الأشهلي، المدني، ولد: بالمدينة، في حياة رسول الله ﷺ وروى عنه أحاديث يرسلها. وروى عن: عمر، وعثمان، وقتادة بن النعمان، ورافع بن خديج، حدث عنه: بكير بن الأشج، ومحمد بن إبراهيم التيمي، والزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وآخرون.، وفي أبيه نزلت آية الرخصة ، فيمن لا يستطيع الصوم، توفي ابن لبيد في سنة سبع وتسعين ويقال: في سنة ست، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج3، م4، ص 485.

[4] رواه أحمد في المسند، ج39، ص 43، برقم 23636، من طريق محمود بن لبيد، والحديث حسّنه المحققشعيب الأرناؤوط.

والرياء: هو ما يحصل من العبد من تزيين وتحسين شيء من أنواع العبادة المراد بها الله من أجل الناس ليمدحوه ويذكروه بها.

فإذا كان الشرك الأصغر مخوفًا على أصحاب رسول الله مع قوة عملهم وإيمانهم فكيف لا يخافه من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب. وقد قال الله عز وجل: ﴿ ۦلَا تَجۡعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ **[البقرة: 22].**

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله ﷻ: ﴿**فَلَا تَجۡعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا**﴾ قال: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة [1] سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان، هذا كله به شرك [2]. وعليه فإن الظلم الأصغر الذي يعد شركًا خفيًا هو الرّياء في العبادات والأعمال التي يتقرب بها إلى الله وعدم الإخلاص فيها لله وحده. وذلك تصنعا للخلق، ومجاملة لهم؛ لتلبية شهوات النفس المختلفة، التي لا تخرج عن طلب الدنيا عمومًا، كطلب المناصب والجاه والثراء، والسمعة الطيبة، والثناء والذكر الحسن، ونيل رضا الناس ونحوها.

وأما النوع الثاني: فهو ديوانٌ لا يَعبأُ اللهُ به شيئًا وهو ظلمُ العبدِ نفسَه فيما بينه وبين ربّه:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قالَ: كنَا مَعَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ في مَجْلِسٍ، فقال: "**تُبَايِعُونِي علَى أنْ لا تُشْرِكُوا باللَّهِ شيئًا، ولَا تَسْرِقُوا، ولَا تَزْنُوا، ولَا تَقْتُلُوا أوْلَادَكُمْ، ولَا تَأْتُوا ببُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بيْنَ أيْدِيكُمْ وأَرْجُلِكُمْ، ولَا تَعْصُوا في مَعروفٍ، فمَن وفَى مِنكُم فأجْرُهُ علَى اللَّهِ، ومَن أصَابَ مِن ذلكَ شيئًا فَعُوقِبَ في الدُّنْيَا فَهو كَفَّارَةٌ له، ومَن أصَابَ مِن ذلكَ شيئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فأمْرُهُ إلى اللَّهِ، إنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وإنْ شَاءَ عَفَا عنْه، فَبَايَعْنَاهُ علَى ذلكَ**" [3].

في هذا الحديث فوائد منها: تحريم هذه المذكورات وما في معناها ومنها: الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع صاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل هو بمشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه... ومنها أن من ارتكب ذنبا يوجب الحد فحُدَّ سقط عنه الإثم... [4].

---

[1] صَفاة: (اسم) الجمع: صَفَا، والصَّفاةُ: الحجَرُ العريضُ الأَملسُ

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1، ص 105.

[3] صحيح مسلم: كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها،ج3، ص 1333، رقم 1709.

[4] ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي،ج11، ص 224، رقم 1709، حاشية رقم 1.

أما النوع الثالث: فهو الديوانُ الذي لا يَترُكُ اللهُ منه شيئًا: وهي مَظالِمُ العبادِ بينهم، القصاص لا محالة.

فقد حرم الله الظلم على نفسه وجعله محرمًا بين عباده، وهذا من أجل أن يحصل الأمن بين العباد، وأن تستقر الأمور، فلا ظلم في الدماء ولا في الأعراض ولا الأموال، وهذا النوع من الظلم ذو طابِع اجتماعي، يختص بظلم الناس بعضهم لبعض فرادى أو جماعات، شعوبًا أو قبائل؛ لقوله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ *وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [الشورى: 40- 42]. تشير الآيات إلى الظلم الاجتماعي الذي يقع بين الناس، حيث يظلم بعضهم بعضًا، فتخول للمظلوم الاقتصاص من الظالم، وتشرع له حق الانتصار منه دون أن يقف في طريقه أحد، بل وجوب الوقوف في طريق الذين يظلمون الناس، ويجورون في الأرض بغير الحق؛ لأن الأرض لا تصلح وفيها ظالم لا يقوم الناس لمنعه من ظلمه [1].

"ففي حجة الوداع خطب النبي ﷺ في الناس فقال: **(فإنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ علَيْكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يومِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، فأعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقالَ: اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ - قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إلى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)** [2]. فيقع هذا الظلم على الدماء والأموال والأعراض. ففي الدماء القتل فما دونه كالاعتداء على الإنسان بالجرح. وفي الأموال مثل ادعاء ما ليس له أو إنكار ما كان عليه، أو أخذ ما ليس له. فهذا ظلم في الأموال، وفي الأعراض يحتمل أن يراد بها السمعة، فيتعدى عليه بالغيبة التي يشوه بها سمعته أو نحوها، ويحتمل أن يراد بها الزنا وما دونه، والكل محرم [3]."

---

[1] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج15، 3167.

[2] صحيح مسلم، كتاب الحج، ج2، ص 886، رقم 1218.

[3] شرح العقيدة الوسطية، محمد بن صالح العثيمين، ج2، ص 366.

فالظلم الاجتماعي يقع في إيذاء الناس في دمائهم وأموالهم، وأعراضهم، وهو نوعان: " تفريط في الحق، وتعد للحق. فالأول: ترك ما يجب للغير مثل ترك قضاء الديون، وسائر الأمانات، وغيرها من الأموال. والثاني: الاعتداء عليه، مثل القتل، وأخذ المال، وكلاهما ظلم" [1].

"وقد حذر الله ﷻ من ظلم العباد تحذيرًا شديدًا؛ فهو ﷻ حرم الظلم على عباده، ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم، فحرام على كل عبد أن يظلم غيره، مع أن الظلم في نفسه محرم مطلقًا سواء تعلق الظلم بالدماء أم الأموال أم الأعراض " [2] جاء في الحديث القدسي عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺعنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ أَنَّهُ قَالَ: " **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**" [3]."

فالشريعة الغراء تنهى عن الظلم وخاصة في الحقوق الخاصة بالآخرين؛ فهذا ديوان لا يترك الله منه شيئًا حتى يظل الأفراد يسيرون على طريق مقيدة بقيود وضوابط جعلها الله لئلا يطغى أحد على أحد، وكل ذلك دفاع عن حرمة المسلم.

وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ " **مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه**" [4].

والتحلل هو: طلب الخروج من المظالم، فقد بين النبي ﷺ أن من ظلم الناس كأن اغتاب شخصًا، أو أخذ ماله، أن يتحلل منه في الدنيا؛ بأن يرد ماله وإن كان غيبة أو ما شابه ذلك طلب عفوه والتجاوز عنه، وأن من لم يفعل ذلك أخذ المظلوم حقه في الآخرة من الظالم فيأخذ من حسناته، وإن لم يكن للظالم حسنات أُخذ من سيئات المظلوم ووضعت على الظالم.

---

[1] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج28، ص 183.

[2] مكارم الأخلاق، محمد متولي الشعراوي، ص 284.

[3] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص 1244، رقم 2577.

[4] صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يبين مظلمته، ج3، ص 129، رقم: 2449.

المبحث الثاني

عواقب الظلم في الدنيا والآخرة

توطئة:

يسوق الله تعالى الظالمين إلى هلاكهم جزاء ظلمهم للعباد فلو يعلم من يقترف ظلماً أو يظلم غيره بغير وجه حق وبدون رحمة أو خوف من الله تعالى أي عذاب سيواجه في الدنيا، وإن لم يكن في الدنيا فعذاب الآخرة أشد بأساً وأشد تنكيلا، وأنَّ الدائرة تدور وأن الله يُمهل للظالمين ولا يهملهم حتى إذا أخذهم لم يُفلتهم، يقول الله ﷻ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: 102]، مجرد قراءة تلك الآية تجعلنا نفكر كثيراً قبل أن نرتكب خطيئة الظلم تلك الخطيئة الكبرى التي تُفسد في الأرض بعد إصلاحها؛ فالظلم ما هو إلا مفسدة تودي إلى الهلاك، وعقوبة الظالم لا تتخلّف أبدًا؛ فهي عقوبة تصيبه في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعًا، وكل الأمم التي عذبت وأهلكت علق هلاكها بظلمها، وهي أمم كثيرة كما دل على ذلك القرآن ﴿**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَايِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ [الأعراف: 4]، فالظلم ما هو إلا وبال نهايته هلاك.

وفي المطلبين الآتيين سنتعرف على عواقب الظلم في الدنيا والآخرة.

ولكن قبل الحديث عن عواقب الظلم لا بد أن نشير إلى تعريف العذاب والعقاب، والفرق بين العقاب، وبين العذاب.

العذاب في اللغة له عدة معان منها:

- **المنع:** قال الزبيدي [1] نقلاً عن أحد شيوخه: " إِنَّ العَذَابَ في كَلاَمِ العَرَب مِنَ العَذْب وَهُوَ المنْع، يقال: عَذَبْتُه عَنْه أَي: مَنَعْتُه وعَذَب عُذُوبًا أَي: امْتَنَعَ، وسُمِّيَ الماءُ الحُلْوُ عَذْبًا لمَنْعِه العَطَش، والعَذَابُ عَذَابًا لمَنْعِهِ المعَاقَبَ من عَوْدِهِ لِمِثْلِ جُرْمِه، ومَنْعِه غَيْرَه مِنْ مِثْلِ فِعْلِه" [2].

---

[1] هو أبو الفيض، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، الملقب بمرتضى: لغوي، نحوي، محدث أصولي، أديب، ناظم، ناثر، مؤرخ نسابة، مشارك في عدة علوم، ولد سنة1145هـ، توفي سنة1205هـ. من مؤلفاته: تاج العروس من جواهر القاموس، وأربعون حديثًا في الرحمة، وأرجوزة في الفقه. ينظر: الأعلام، الزركلي،ج7، ص70، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، ج 3، ص681–682.

[2] تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج 3، ص328–332.

- **العقوبة والنَّكال:** قال ابن منظور [1]: " والعَذَابُ: النَّكَالُ والعُقُوبَة" [2].

والمراد بالعذاب هنا: عقاب الله وجزاؤه الذي أحلَّه بمن عصاه في الدنيا أو في الآخرة بسبب يقتضي ذلك قول ابن منظور: " العِقابُ والمعاقَبة أَن تَجْزِي الرجلَ بما فَعل سُوءًا؛ والاسمُ: العُقُوبة، وعاقَبه بذنبه مُعاقَبة وعِقَاباً: أَخَذَه به " [3].

قال أبو هلال العسكري [4]: " العقاب ينبئ عن استحقاق، وسمي بذلك؛ لأن الفاعل يستحقه عقيب فعله،... وأصل العقاب: التلو، وهو تأدية الأول إلى الثاني يقال: عَقَبَ الثاني الأول إذا تلاه"[5].

والفرق بين العقاب والعذاب: أن العقاب لا يكون إلا عن استحقاق، فالفاعل يستحقه عقيب فعله، ولا يطلق عليه عذاب إلا من باب المجاز، وأما العذاب فإنه أعم من العقاب [6].

قال ابن القيم [7]: "عذاب القبر قد يراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله، ومنه قوله ﷺ: " **إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**" [8]، أي: يتألم بذلك

---

[1] هو جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، الرويفعي، الإفريقي، المصري، أديب، لغوي، ناظم، ناثر، مشارك في علوم. ولد في أول المحرم سنة630هـ بمصر، وتوفي بها في شعبان سنة711هـ. من مؤلفاته: مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، ولسان العرب، ومختصر تاريخ دمشق لابن. عساكر. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر، ج 6،ص15- 16، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي،ج1، ص248.

[2] لسان العرب، ابن منظور، ج4، ص2852-2854.

[3] المرجع السابق، ج4، ص 3022-3030.

[4] هو أبو هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، اللغوي، الأديب، الشاعر، المفسر، ولد ما بين سنة 310 و320هـ. من تصانيفه الكثيرة: كتاب الصناعتين في النظم والنثر، المحاسن في تفسير القرآن في خمس....مجلدات، جمهرة الأمثال، ومعاني الأدب، وديوان شعر. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي ص44، ومعجم لأدباء: لياقوت الحموي ج2، ص911-917.

[5] الفروق في اللغة: ص234-235.

[6] ينظر: المصدر السابق نفسه.

[7] هو أبو عبدالله شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ابن قيم الجوزية الحنبلي، من الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والأصلين والعربية توفي 751ه من مؤلفاته: زاد المعاد، مدارج لسالكين، إعلام الموقعين عن رب العالمين. ينظر: بغية الوعاة، السيوطي،ج1، ص 62، وطبقات المفسرين: الداودي، ص 363- 365.

[8] صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: " يُعَذَّبُ الميت ببعض بكاء أهله عليه"، ص 173، رقم 1286، ومسلم: كتاب الجنائز، باب الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، ص 219، رقم 927.

ويتوجع منه، لا أنه يعاقب بذنب الحي﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ [الأنعام: 164]، وهذا كقول النبي ﷺ: " **السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ**" [1] فالعذاب أعم من العقوبة [2].

المطلب الأول: عواقب الظلم في الدنيا:

أخبر الله ﷻ في القرآن الكريم عن عقاب العديد من الظالمين في الدنيا، وكيف أخذهم وأهلكهم بظلمهم وسوء عملهم، ومن ذلك ما يأتي:

أولًا: ذهاب الأمن وانتشار الخوف والجوع:

حينما ينتشر الظلم ويسود في أمة من الأمم، فإنها تفقد الأمن والسلام وهدوء البال، ويستولي على أهلها الخوف والقلق والفزع، ويتأوهون تحت وطأة الجوع والفقر، ويعيشون حياة ضنكة، يتضح ذلك من قول الله ﷻ: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [النحل 112– 113] وقد بينت الآية أن ظلم هذه القرية لم يقتصر على تكذيب الرسول الذي أرسل إليهم، بل أضافوا إلى ذلك ظلمًا آخر، وهو كفران النعمة ليصبح الظلم ظلمين؛ لذلك عاقبهم الله بالخوف والجوع، وأذاقهم مرارتهما. وأضاف اللباس إلى الجوع، على سبيل الاستعارة، فالجوع القائم المستمكن الذي يعم فيه القل ويكثر العدم، والخوف الذي يفزع النفوس، ويذهب بالاطمئنان، ويلقي بالاضطراب شبه باللباس السابغ؛ لأن اللباس يعم ويكسو الجسم كله، وكذلك الجوع إذا عمّ، والخوف إذا طمّ، فإنه لا يبقى في الجماعة أحدٌ لم ينله؛ لأن الأزمات الجائحة، والخوف من عدو داهم لا ينجو منه أحد، فكان التعبير عن هذه الحالة باللباس، وفوق ذلكم فإن اللباس يلتصق بالجسم ويلازمه ولا يفارقه، وكذلك الجوع والهم والغم والخوف، وفي ذلك تصوير للأمة أو المدينة إذا عمَّها البؤس والشقاء وداهمها الخوف من كل جهة.

وهناك استعارة أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ فإن اللباس يلبس ولا يذاق، ولكن لباس الجوع والخوف؛ لأنه يتصل بالنفس، وبالنعمة تزول بعد أن كفروا بها، عبر عنه

---

[1] من حديث أبي هريرة ﷺ صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب السَّفر قطعة من العذاب، ص 240، 1804، ومسلم، كتاب الإمارة، باب السَّفَرِ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ وَاسْتِحْبَابِ تَعْجِيلِ الْمُسَافِرِ إِلَى أَهْلِهِ بَعْدَ قَضَاءِ شُغْلِهِ، ص 503، رقم1927، متفق عليه.

[2] الروح، ابن قيم الجوزية، 129.

بالذوق، فشبه حال النزول بحال الإذاقة، للنزول الذي ترتب عليه أن أحسّوا بمرارة المذاق بعد أن كانوا في بحبوحة العيش، فكان التعبير بأذاق أنسب لهذا المعنى [1].

وهذا بعد أن كانت تلك القرية تمتلك مقومات الحياة وأسباب الراحة الداعية إلى الشكر بدل الظلم والكفر؛ من التمتع بنعمة الأمن والسلامة من تسلط الأعداء والقتال والسبي، ونعمة الاطمئنان على الصحة وسعة العيش؛ إذ كان يأتيها رزقها وافرًا سهلًا هنيئًا من سائر البلدان [2] فالأمن والصحة والكفاية من أعظم نعم الله تعالى على البلاد والعباد، وسر سعادة الحياة واستقرارها.

ومن الأمم التي أدى بها الإصرار على الظلم إلى الخوف والجوع، بعد أن كانت آمنة مطمئنة على قوتها مشركو قريش، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ [قريش: 4]. فقد طاردهم الخوف في صراعهم مع المؤمنين في مواطن كثيرة، كان آخرها في فتح مكة، حين دخلها المؤمنون مطمئنين منتصرين، فأيقنوا عندئذٍ أنه لا أمان لهم إلا بالدخول في دين الله تعالى، فدخلوه أفواجًا آمنين.

فانتشار الخوف وفقدان الأمن والجوع من أخطر آثار الظلم التي تهدد كيان الإنسان وبقائه، وتعرض الدول والمجتمعات للهلاك والدمار.

ثانيًا: زوال النعمة:

عدّ الله ﷻ الغرور بالنفس أو المال أو السلطان من الظلم؛ وتوعّد من يرتكب هذه الكبائر بالعقاب في الدنيا قبل الأخرة، وذلك بزوال النعمة ونزع البركة من نفسه وماله وأولاده، وقد ضرب الله لنا مثلًا فقالﷻ : ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا *كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا *وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَايِمَةً وَلَيِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا *وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا *فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا**

[1] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، بتصرف، ج6، ص 604، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، ج2، ص 638، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، ج5، ص 145.

[2] ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ج14، ص 150

زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا *هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا*﴾ [الكهف: 32– 44]. إن هذه الآيات لتظهر عاقبة من كفر بعد أن أنعم الله عليه، وجحد بما رزقه الله من مال وولد.

وقد ضرب الله مثلًا آخر لكفار قريش فيما أُهدي إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهي بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة فاختبرهم الله كما اختبر أصحاب البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه إذا حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل؛ ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ولا يستثنون أي فيما حلفوا به، ولهذا حنثهم الله في أيمانهم فأصابتها آفة سماوية وهم نائمون، فأصبحت كالليل الأسود، فحرموا خير جنتهم بذنبهم، فلما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضًا ليذهبوا إلى الجذاذ وهم يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحدًا كلامهم، وأن لا يمكنوا مسكينًا ذلك اليوم يدخلها، فغدوا إليها مسرعين فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وجدوها قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق فتاهوا عنها، ولكنهم تحققوا وتيقنوا أنها هي، فندموا واعترفوا بظلمهم وأخذ بعضهم يلوم بعضًا على ما أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ، حتى عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية؛ رأس المال والربح، والصدقة فلم يبق لهم شيء، وهذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما أتاه لله وأنعم عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات، وبدل نعمة الله كفرًا. هذه عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة أشق [1] يقول ﷻ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ* وَلَا يَسْتَثْنُونَ* فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ *فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ *فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ* أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ* فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ *أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ* وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ *فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ *بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ *قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ* قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ *فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ *قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ *عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ *كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: 17– 33]. يعقب سيد قطب على هذه القصة قائلاً: " وكذلك يسوق إلى قريش هذه التجربة من واقع البيئة، ومما هو متداول بينهم من القصص، فيربط بين سننه في الغابرين وسننه في الحاضرين؛ ويلمس قلوبهم بأقرب الأساليب إلى واقع حياتهم، وفي

---

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8، ص 214، 215.

الوقت ذاته يشعر المؤمنين بأن ما يرونه على المشركين– من كبراء قريش– من آثار النعمة والثروة إنما هو ابتلاء من الله تعالى، له عواقبه، وله نتائجه، وسنته أن يبتلي بالنعمة كما يبتلي بالبأساء سواء، فأما المتبطرون المانعون للخير المخدوعون بما هم فيه من نعيم، فذلك كان مثلًا لعاقبتهم"[1].

وفي هذا تذكرة لأصحاب الأموال الذين أعطاهم الله من فضله، بأن ينفقوا في سبيل الله، وأن لا يجمعوا الأموال ويمنعوا أصحاب الحقوق حقوقهم فيطوقون ما بخلوا به، وفيه تقويم لمن أمسك الشيطان على أيديهم أن ينقذوا أنفسهم بالبذل والعطاء في الوجوه المستحقة، وأن يحذروا مما قد أصاب من بخل بمال الله وقص علينا خبرهم، فالله يملي للظالم، وإذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر، يقول الله ﷻ: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [الحديد: 24]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [التوبة75– 76].

ثالثًا: حبس المطر ونزول الجدب والقحط:

يعد الماء من أعظم نعم الله تعالى، وهو أساس الحياة، كما قال ﷻ: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾ [الأنبياء: 30). وكثيرًا ما يمتن الله تعالى على عباده بنعمة إنزال الماء من السماء، حيث قال ﷻ :﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ *أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**﴾ [الواقعة: 68– 70]. ويقول الحق ﷻ: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ [الروم: 48].

ومن آثار الظلم وعواقبه حبس الماء وقلة نزول المطر وما يترتب عليه من جدب وقحط، فحبس الأمطار يؤدي إلى الجفاف ونقص الثمار وقلة الغلات والانتاج؛ فيترتب عن ذلك غلاء الأسعار وارتفاعها؛ فتتدهور القدرة الشرائية بحيث يعجز الناس عن اقتناء الضروريات والحاجيات فضلًا عن الكماليات؛ فيتدنى المستوى المعيشي لعامة فئات المجتمع؛ فترزح تحت وطأة الفقر والجوع وآلام الأمراض الفتاكة، وتنتشر الرذائل والآفات الاجتماعية المختلفة، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: **(أقبل علينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال يا معشرَ المهاجرين خمسُ خِصالٍ إذا ابتليتم بهنَّ وأعوذُ باللهِ أن تدركوهنَّ لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعلِنوا بها إلَّا فشا فيهم**

---

[1] في ظلال القرآن، ج29، ص 3666.

الطَّاعون والأوجاعُ الَّتي لم تكُنْ مضت في أسلافِهم الَّذين مضَوْا، ولم ينقُصوا المكيالَ والميزانَ إلَّا أُخِذوا بالسِّنين وشدَّةِ المؤنةِ وجوْرِ السُّلطانِ عليهم ولم يمنَعوا زكاةَ أموالِهم إلَّا مُنِعوا القطْرَ من السَّماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمطَروا، ولم ينقُضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلَّا سلَّط اللهُ عليهم عدوًّا من غيرِهم فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكُمْ أئمَّتُهم بكتابِ اللهِ تعالَى ويتخيَّروا فيما أنزل اللهُ إلَّا جعل اللهُ بأسَهم بينهم) [1]. وقد جاء في هذا الحديث أمران بهما يمنع القطر من السماء، ويحصل الجدب والقحط في الأرض:

الأمر الأول: لم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، والأخذ بالسنين أحد أنواع البلاء والعذاب، كما قال تعالى عن عذاب آل فرعون في الدنيا ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: 130].

الأمر الثاني: لم يمنَعوا زكاةَ أموالِهم إلا تأخر نزول الغيث من السماء، حيث يكنزون الأموال ولا يخرجون حق الله فيها، وإن أخرجوا، أخرجوا دون ما أمر الله تعالى به، فترى بعضهم أمواله بالملايين ويخرج بضعة آلاف ظنًا منه أن هذه تغني عن الزكاة ولا يتحرى في زكاة ماله.

إن من أسباب نزول الغيث من السماء: أن نستغفر الله ﷻ ونتوب إليه، وأن نتضرع إليه أفرادًا وجماعات، أن نكف عن ظلم أنفسنا وظلم العباد، قال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ *فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: 42- 43].

رابعًا: انتشار الأمراض والأوبئة:

يقول ابن القيم – رحمه الله–: " لم تزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسل تحدث لهم من الفساد العام والخاص ما يجلب عليهم من الآلام والأمراض والأسقام والطواعين والقحوط والجدوب وسلب بركات الأرض وثمارها ونباتها، وسلب منافعها أو نقصانها أمورًا متتابعة يتلو بعضها بعضًا" [2].

والأوبئة والأمراض القاتلة تنتشر عند ظهور الفاحشة, فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ **قال: (... لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعلِنوا بها إلَّا فشا فيهم الطَّاعون**

---

[1] سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ج2، 1332- 1333، رقم: 4019، والمستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الفتن والملاحم، باب أما حديث أبي عوانة، ج4، ص 712-713، رقم 8688 " صحيح الإسناد".

[2] الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، ص 282.

والأوجاعُ الَّتي لم تكُنْ مضت في أسلافِهِم)([1]). فالعلاقة بين ظهور الفاحشة – والتي هي من أشد أنواع ظلم الإنسان لنفسه وفي حق ربه– وبين انتشار الأمراض والأوبئة طردية.

ومن الملاحظ أن الأوبئة القاتلة تفتك بالمجتمعات المتحررة من كل فضيلة، فلذا ينبغي إغلاق الأبواب، وسد المنافذ، وتجفيف المنابع، ومنع جميع الطرق والوسائل التي تؤدي إلى الفاحشة، طاعةً لله ﷻ، ووقاية للأفراد والمجتمعات من الأوبئة التي تفتك بالجميع، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال: أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة. ولما اختلط البغايا بعسكر موسى، وفشت فيهم الفاحشة: أرسل الله إليهم الطاعون، فمات في يوم واحد سبعون ألفا، والقصة مشهورة في كتب التفاسير" [2].

خامسًا: الحرمان من الهداية والفلاح:

أرسل الله ﷻالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويبينون لهم أن الفوز والفلاح لا يكون إلا بالإيمان بالله والأعمال الصالحة، والفلاح والفوز يكون في أحوال الدنيا وأحوال الآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون: 102-103] ثقلت وخفت هنا للحسنات. يعني: كانت حسناته كثيرة أو كانت قليلة [3].

ويطلق الفلاح في القرآن الكريم على وجهين: فوجه منها أفلح يعني: سعد، كقوله ﷻ: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**﴾ [الأعلى: 14] والوجه الثاني: بمعنى الفوز، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [القصص: 37] أي: لا يفوزون في الآخرة [4].

ولقد أثبت الله الفلاح وأكده للمؤمنين الذين استجمعوا خلال الخير والفضيلة وذلك في مطلع سورة المؤمنون حيث يقول الله ﷻ: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا**

---

[1] سبق تخريجه ص 37.

[2] الطرق الحكمية، ابن قيم الجوزية، ص 239.

[3] ينظر: تفسير الشعراوي، ج16، ص 162.

[4] ينظر: الأشباه والنظائر، مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله شحاتة، ص 317- 318، والوجوه والنظائر، الدامغاني، ص 85.

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 1- 11].

فهذه الآيات تقرر أهم صفات الذين يكونون خليقين بهذا الفوز العظيم، إنما تعلي شأن هاتيك الصفات، كما أنها تعلي في الوقت ذاته شأن المتصفين بها، وتعلن في وضوح لا لبس فيه أن هؤلاء مكتوب لهم الخير والنصر والسعادة والتوفيق، ومكتوب لهم الفوز والنجاة والثواب والرضوان، كما يفهم منها الحط من قدر معدومي تلك الفضائل والقيم، وتحقر من شأن الواقعين في أوحال الرذائل؛ لذلك كان من عواقب الظلم والظالمين أنهم لا يفلحون ولا يفوزون، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 21]، وقوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى: 45]. والتعبير بالوصف يشير إلى أن الظلم هو سبب الخسران، وأن الخذلان والحرمان من الفلاح سنة الله الجارية في جميع الظالمين، فكلهم مخذولون لا يفلحون، ولا يفوزون بخير ولا ينتصرون، ولا يظفرون بمطلوب، ولا تصلح أحوالهم، ولا ينجون- ومن المحذور العذاب الدنيوي- لا في الدنيا ولا في الآخرة [1]، وهو ما يؤكده قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: 111].

هكذا يقرر الله ﷻ الحقيقة الكلية؛ ويصف الحصيلة النهائية للظلم والظالمين، فلا عبرة بما تراه العيون القصيرة النظر في الأمد القريب فلاحًا ونجاحًا، فهذا هو الاستدراج المؤدي إلى الخسار والبوار" [2].

فما يتمتع به الظالمون في الدنيا من الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام، والرخاء وسعة الرزق، والسلطة وتتابع النّعم عليهم، ليس دليلًا على رضا الله ﷻ عنهم، ولا كرامة منه لهم؛ لأنه لم يعاجلهم بالعقوبة، بل هو إمهال واستدراج وإملاء لهم؛ ليزدادوا انغماسًا في الظلم واستشراءً وتماديًا فيه حتى ينتهون إلى ما يسوؤهم، فكل ظالم وإن تمتع في الدنيا بما تمتع به فنهايته إلى الخسران، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44]

---

[1] ينظر: تفسير المراغي، المراغي، ج8، ص 40، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، ج21، ص 193.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص 1063.

فالظالم وإن بدا قويًا غالبًا فإلى حين، والعاقبة للعادلين المنصفين المقيمين للحق، وهؤلاء هم رسل الله وأتباعهم المؤمنون، كما قال الله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ**﴾ [الصافات: 171- 172]، وقال أيضًا: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ [غافر: 51- 52]. فالظالمون لا يفوزون في نهايتهم، وإن فازوا في بعض الأمور العرضية [1]. فلا يجزع المؤمن من تعاون الظالمين فيما بينهم، وتدبير المكائد ضد المظلومين، واصطفافهم لاجتثاث المؤمنين؛ فإن الله تعالى يفرق جمعهم، ويشتت شملهم، فيتخلى بعضهم عن بعض، فتتبدل مصالحهم، وتتبخر وعودهم حيث يقول الله ﷻ: ﴿ **بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا**﴾ [فاطر: 40].

فالفلاح المنفي عن الظالمين، يقصد به الفلاح في الدنيا والآخرة، إذ لا يظفر الظالمون لا بالراحة ولا بالأمن ولا بالاستقرار، وإن جمعت لهم الدنيا بحذافيرها، بل إنّ ذلك يزيد من شقائهم، وقلقهم الدائم خوفًا على ذهابها، وحسرةً على ما فات منها. وإذا ماتوا خسروا الدنيا التي تُعد ممرًا إلى الآخرة، وخسروا أنفسهم وأهليهم بدخولهم النار.

سادسًا: ضعف واستئصال دولة الظلم:

الدولة إما أن تؤسس على العدل أو على الظلم، فإن قامت على العدل فهي باقية ما بقيت الدنيا، وإن قامت على الظلم والطغيان فزوالها قريب، وكلما كان الظلم أكثر كلما كان زوالها أقرب وأعجل، وإن من أهم الأسباب وأعظمها في سقوط الدول وانهيار الأمم وخراب الديّار هو "الظلم" ؛لما فيه من القهر والفساد والتعدي، بالخروج عن المبادئ الإنسانية من الأعراف المتبعة عند كل مجموعة من البشر، يعيشون مع بعضهم البعض في مجتمعات وبيئات مختلفة متوافقون عليها وراضون بها، وتسري عليهم جميعاً مبادؤها وأحكامهان بالإضافة إلى مبادئ وأحكام الشرائع السماوية والتي تساوي بين البشر في مختلف نواحي حياتهم بالحق والعدل. قال الله ﷻ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [يونس: 13] فلفظ " لما" جاء في هذه الآية ليبين أن الظلم هو سبب الإهلاك. وهذا الظلم نوعان:

الأول: ظلم الأفراد لأنفسهم بالفسق والفجور والخروج عن طاعة الله والتظالم فيما بينهم.

[1] السنن الإلهية، عبد الكريم زيدان، 119.

الثاني: ظلم الحكام لهم على نحو يهدر حقوقهم، ويذهب بعزتهم، ويعودهم على حياة الذل والمهانة، مما يجعل الدولة ضعيفة غير صالحة للبقاء فيسهل على الأعداء الاستيلاء عليها واستعبادها فيكون هذا محقًا لها وفناءً لشخصيتها [1].

فالظلم بمختلف أنواعه وحالاته هو مجلبة لغضب الخالق ﷻ، والسبب الرئيس لإهلاك الأقوام والأمم، فقد أهلك الله أقوامًا وقرونًا من الناس قبلنا وما زال يهلك الأمم لوجود الظلم في الأرض، فصار هذا الأمر سنة كونية، كلما كثر الظلم والفساد في الأرض نزل الهلاك والعقاب الأليم، ولذا فإن الله تعالى يهلك الأمة والدولة بظلمها حسب أحوالها ومواقيتها بظلم الأفراد لأنفسهم، أو بظلم الحكام لهم.

ويكون إهلاك الله القرى والدول بالظلم نوعان: [2]

أحدهما: هو مقتضى سنته في نظام الاجتماع البشري، وهي أن الظلم سبب لفساد العمران وضعف الدّول، وسبب لاستيلاء القوية على الضعيفة استيلاءً مؤقتاً، إن كان إفساد الظلم لها عارضًا لم يجهز على استعدادها للحياة، واستعادتها للاستقلال، أو دائمًا إن كانت غير صالحة للحياة حتى تنقرض أو تدغم في الغالبة كما قال الله تعالى: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ**﴾ [الأنبياء: 11].

ثانيها: عذاب الاستئصال للأقوام التي عاندت الرسل رغم مجيء الآيات الدالة على صدقهم؛ لِتَمَرُّن أولئك الأقوام على الظلم واطمئنانهم به، وارتباط لذاتهم ومصالحهم من الجاه والرياسة والسياسة بأعمالهم الإجرامية من ظلم وفسق وفجور.

وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى عقاب الله للظالمين، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا**﴾ [الكهف 59]، ويقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء: 16].

والله تعالى لم يظلم هذه القرى وهذه الأمم بل هي ظلمت نفسها وظلمت غيرها فحق عليها عقاب ربها، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ* وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ**

---

[1] ينظر: السنن الإلهية، عبد الكريم زيدان، ص 120.

[2] ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ج11،ص 315- 316.

﴿أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ* وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود 100 – 102].

والملفت للانتباه أن القرآن لم يستخدم لفظ " الدولة" ولا لفظ " الأمة" في التعبير عن الظالمين المهلكين، ففي جميع الآيات التي ذكرت عبّر القرآن بلفظ القرية في الغالب وأحيانًا بلفظ " القوم" ولعل في هذا إشارة إلى أن الظلم لا يستأصل الدول إن لم تكن ظالمة بأكملها بل يقتصر على القرية الظالمة منها، إلا إذا عمّ.

ومن هذه القصص ما جاء ذكره في القرآن الكريم: فعن فرعون وجنوده يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 40]، وما حل بقوم لوط عليه السلام، فقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 82 – 83]، أما ما جاء عن هلاك قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الأيكة، قال الله تعالى:

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40]. فكل ظالم لا بُد وأن يأتي موعد عقابه من الله وسينتقم الله للمظلومين من عباده سواء في الدنيا أو في الآخرة .

سابعًا: زوال الملك:

من آثار الظلم وعواقبه زوال الملك ونضرب على ذلك مثالًا لقصة مملكة سبأ؛ فإن سبأً قومٌ اكتملتْ نِعَمُهم، ودُفعت النقم عنهم، وكُفُوا مؤونة الطعام والشراب؛ فأرزاقُهم حاضرة، وأرضهم مخضرَّة، وسماؤهم ممطرة، وثمارهم يانعة، وضروعهم دارَّة، تحيط بمساكنهم الأشجارُ والثمار؛ فلا يسيرون إلا في خضرة من الأرض، ولا يأكلون إلا أطيب الطعام والثمار، يشربون من الماء أعذبَه، ويتنفسون من الهواء أنقاه، حتى ذكر المفسِّرون خلو أرضهم وأجوائهم من الهوام والحشرات المؤذية، وهذا من أكمل ما يكون للعيش الرغيد، والراحة التامة، والنعم الكاملة.

ولم يطلب ربُّهم ﷻ منهم مقابلَ هذه النعم المتتابعة إلا شكرَه عليها، بإقامة دينه، وتحقيق توحيده؛ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: 15]، فوصفها الله ﷻ بأنها بلدة طيبة؛ فكل شيء فيها طيِّب.

لكنهم قابلوا دعوة الله ﷻ لهم بالإعراض والاستكبار، والإعراضُ أشدُّ أنواع الكفر، والكفر ظلم، فاستحقوا العذابَ والدمار؛ ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16]، ففتح الله تعالى عليهم سدَّهم؛ ليغرق بلادهم، ويهلك حرثهم وأنعامهم، ويتلف أشجارهم وثمارهم، فأضحتْ بلادُهم بعد الخضرة مغبرَّةً، وبعد الجدة مقفرةً، وبعد السَّعة ضيقةً، وذهبتْ نعمهم في لمح البصر، وصاروا ممحلين لا يلوون على شيء.

فلم تتغير نِعَم سبأ عليهم إلا لما أعرضوا عن دين الله ﷻ ولم يشكروا نعمه ﷻ؛ ولذلك بيَّن الله ﷻ سببَ زوال نعمتهم، بقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: 17].[1]

لقد كان من عظيم ما أنعم الله ﷻ به عليهم، أنهم كُفُوا مؤونة السفر ومشقته، ورُفِع عنهم عنَتُ الطريقِ ولصوصه، فارتاحوا في سفرهم وأَمِنوا، وسببُ ذلك اتِّصالُ القرى بينهم وبين الأرض المباركة، فكانوا يسافرون من اليمن إلى الشام في أمن وطمأنينة، لا يحملون للسفر زادًا لوفرته في طريقهم، ولا يعدون له عدة؛ بل يسيرون فيه ما شاؤوا، ويستريحون في القرى التي في طريقهم، وهي على مراحل لا تنقطع عنهم؛ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: 18].

فتمَّتْ نعم الله ﷻ عليهم في بلادهم، ثم أكملها ﷻ لهم في أسفارهم، فبلَغ مِن كفرهم بنعمة ربِّهم عليهم في أسفارهم أنهم قالوا: ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سبأ: 19]، فبطروا هذه النعمة العظيمة، ودَعوا بالمشقَّة والبُعد.

لقد كان قوم سبأ ظالمين لأنفسهم بهذا التعدي في الدعاء، مع الإعراض والتحدي، فكانت عقوبة الله جل جلاله لهم أن أفقرهم بعد الغنى، وشرَّدهم بعد الاستقرار، وفرَّقهم بعد الاجتماع، ومزَّقهم في الأقطار، وجعل خبرَهم أحاديثَ يتحدَّث بها الناس في مجالسهم، ويحكون ما جرى لهم، وضرب العربُ المثلَ بتفرُّقهم وشتاتهم، فقالوا: (تفرقوا أيدي سَبَا)، أو: (ذهبوا أيادي سَبَا)؛ بل صار تفرُّقهم مثلاً لكل تفرُّقٍ عظيم.

كما أن في هذه القصة العظيمة دليلاً على قدرة الله عز وجل على تحويل النعم إلى نِقم، وقلبِ المنح إلى محن؛ ذلك أن الماء نعمة عظيمة، لا حياة لمن في الأرض إلا به؛ ولذلك يحتجزه الناس بالسدود، وهي من أعظم نعم الصناعة التي هُدِيَ البشر إليها، وانتفعوا بها، لكن الله ﷻ حوَّل

---

[1] ينظر: الدين والسياسة (تأصيل ورد شبهات)،القرضاوي ،(ص:29)

هذه النعمة العظيمة إلى نِقمة كبيرةٍ على أهل سبأ، حين انطلق سيلُ سدِّهم عليهم، فأحال ديارَهم وجناتِهم خرابًا يبابًا [1].

وهذه القصة دليل على أن مِن سنة الله ﷻ في عباده أنه ﷻ يجزي الشاكرين زيادةً ونماء، ويجازي الكافرين خذلانًا وعذابًا؛ ﴿**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾ [سبأ: 17]، فمَن فهم هذه السُّنةَ الربانية وعمل بموجبِها، كان له الأمن والنعيم في الدنيا والآخرة، ومَن حاد عنها، وأعرض عن تذكير الله عز وجل بها، كان من الهالكين [2].

ثامنًا: تسليط الظالم على الظالم:

إذا تمادى الناس في الظلم، وكثر التظالم والظالمون، وغاب إنكار الظلم أو قل بحيث لا يؤثر في الظالمين؛ فإن الله يقيض للظالمين ظلمة على شاكلتهم، بل أشد ظلمًا وتعسفًا منهم ويسلطهم عليهم ؛ جزاءً من الله وعقابًا لهم على ظلمهم، وهذه سنة الله في الظلم والظالمين، حيث يقول الله ﷻ: ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام : 129]. وهذا فيه تهديد للظالم إن لم يمتنع عن ظلمه سلط الله تعالى عليه ظالماً آخر، ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو يظلم الرعية أو التاجر يظلم الناس في تجارته أو السارق وغيرهم، وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجباً [3].

ويقول الرازي – رحمه الله تعالى-: "الآية تدل على أن الرعية متى كانوا ظالمين، فالله تعالى يسلط عليهم ظالماً مثلهم فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظلم" [4].

كذلك من سنة الله سبحانه وتعالى أن يولي كل ظالم ظالماً مثله يؤزه إلى الشر ويحثه عليه ويزهده في الخير وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيع أثرها، البليغ خطرها والذنب ذنب الظالم فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جَنَى، ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت: 46].

---

[1] يبابًا: صحراء خراب، خالٍ من أيِّ شيء. ينظر: المعجم الوسيط، مجمع القاهرة الدولي، ج2، ص 1062.

[2] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق، أحمد شاكر، بتصرف، ج20، ص375- 378، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج22، ص 162- 164، تفسير الشعراوي، ج6، ص3508- 35010.

[3] ينظر :الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص 85

[4] التفسير الكبير، الرازي، ج13، ص 159.

ومن ذلك أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم ومنْعهم الحقوق الواجبة ولّى عليهم ظلمة يسومونهم سوء العذاب ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله وحقوق عباده على وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين. كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا أصلح الله رعاتهم وجعلهم أئمة عدل وإنصاف لا ولاة ظلم واعتساف [1].

وعليه فإن ارتكاب الظلم يؤدي إلى عقاب الظالم بتسليط ظالم آخر عليه يهدر حقوقه ويعتدي عليه في نفسه أو دينه أو ماله أو عرضه؛ لينتقم منه الله ﷻ في الدنيا قبل الآخرة.

تاسعًا: استجابة دعوة المظلوم:

لما كان فشو الظلم سببًا في خراب الديار وفساد العيش واضطراب الأمور؛ أقام الله ﷻ دون تقحم دركاته حواجز تمنع من قربانه والاسترواح إليه أو السكوت عن قبيح صنيع أهله، فضلاً عن إعانتهم والرضى بفعلهم! ألا وإن من أشد تلك الحواجز إزالةَ الحجب عن دعوة المظلوم، وسرعة إجابة الله لها، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾ [النمل: 62]. وقال النبي ﷺ: " **اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَاب**" [2]. والتعبير بمنع الحجاب دون دعوة المظلوم أبلغ في تحقق الاستجابة.[3]

وسر سرعة إجابة دعوة المظلوم اضطراره، وإخلاصه، وانكسار قلبه، ونشدانه ربَّه حقَّه؛ ولذا فإن دعوة المظلوم مجابة؛ فسعة عدل الله تستوعب المؤمن والكافر والبر والفاجر. وأحرى دعوات المظلومين بالإجابة دعوة عاجز عن رد الظلم عنه إلا بدعائه؛ لعظم انكسار قلبه.

وإعجاب الظالم بقوته وغفلته عن دعوة المظلوم واستخفافه بها من أعظم أسباب صرعته وأخذ الله له على غرة.

المطلب الثاني: عواقب الظلم في الآخرة:

أولًا: عذاب القبر:

كتب الله جل جلاله على الخلائق الموت بقوله: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [العنكبوت: 57]، والموت لا بد منه، فهو مدرك الأنفس لا محالة كما قال سبحانه تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ**

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 273.

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم 19، ج1، ص 50

[3] ينظر : دعوة المظلوم أحاديث وأخبار وأشعار ، عبد الرحمن الفرحان، ص28 وما بعدها

تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 78]، وبعد موت الإنسان ينتقل إلى البرزخ، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: 100]، قال الجوهري: " البرزخ: الحاجز بين الشيئين، والبَرْزَخُ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البَرْزَخَ" [1].

وقال ابن عطية: " والبرزخ في كلام العرب: الحاجز بين المسافتين، ثم يستعار لما عدا ذلك، فهو هنا للمدة التي بين موت الإنسان وبين بعثه، هذا إجماعٌ من المفسرين" [2].

وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويُعذَّب العاصون إلى يوم يبعثون، وهذا النعيم والعذاب في البرزخ حقٌ لا مرية فيه؛ لدلالة النصوص عليه من الكتاب والسنة.

قال ابن القيم: "ينبغي أن يُعلم: أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]، وهذا البرزخ يُشرِف أهله فيه على الدنيا والآخرة" [3].

ومن الأدلة على عذاب القبر للظالمين، قوله ﷻ: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 45- 46]، قال ابن كثير: " ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم؛ فإن أرواحهم تُعْرَضُ على النَّار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النَّار؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أي: أشده ألمًا وأعظمه نكالاً، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله تعالى: ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ " [4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93]. وقال: "﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾؛ أي: شدائده وأهواله

---

[1] الصحاح: الجوهري، ج2، ص419.

[2] المحرر الوجيز، ابن عطية،1339، وينظر: معاني القرآن وإعرابه: الزجَّاج، ج4، ص 19.

[3] الروح، ابن قيم الجوزية، ص 105.

[4] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 4، ص 102-103.

الفظيعة، وكربه الشنيعة لرأيت أمرًا هائلاً، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم، وقلقها وتعصّيها عن الخروج من الأبدان ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويذلكم...وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب والعذاب الموجّه إليهم إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده" [(1)].

ويقول الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27] وفي تفسير الآية " يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من الإيمان القلبي التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح، إذا قيل للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح؛ بأن يقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبّيي ﷺ، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة وصفتها، ونعيم القبر وعذابه" [(2)].

ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 21] " أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين نموذجًا من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93]. ثم يكمل لهم العذاب الأدنى في برزخهم، وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿و مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2، ص 212- 213، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 425- 426، الروح، ابن قيم الجوزية، ص108.

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج13، ص 657- 668، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 425- 426.

أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثَمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النَّار، ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم... [1].

وفي قوله تعالى: ﴿ ۦمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100] تهديد للمحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، كما قال تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: 16-17] وهذا العذاب في القبر مستمر إلى يوم يبعثون [2].

كما أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124].

فيه وعيدٌ من الله لمن أعرض عن ذكره الذي أنزله على رسله عليهم الصلاة والسلام، والمشتمل على الهداية والنُّور، والحُجج الظاهرة، والمواعظ البليغة، فلم يستجب لهم، وخالف أوامرهم، ولم يتعظ بما فيه من المواعظ فينزجر بها عن غيّه، ويقلع عما هو عليه من مخالفة أمر ربه، بأن له ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾؛ أي: معيشة ضيقة، والمراد بها: عذاب القبر؛ لقول الله تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: 127]، أي: أشدّ عليهم مما توعَّدهم الله به من عذاب القبر – وهو المعيشة الضنك –﴿أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾: أنه دائم غير منقطع عنهم [3].

ثانياً: عذاب يوم القيامة

بيَّن الله لعباده حقيقة الدنيا، وجلاَّها لهم حتى كأنها رأي عين، وحذَّرهم من الاغترار بها وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7]، فمن انقاد لأمر الله أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله فله شر الجزاء.

---

[1] ينظر: جامع البيان تأويل آي القرآن، الطبري،ج18، ص 626-634 تيسير الكريم الرحمن، السعدي،ص425- 426، الروح، ابن قيم الجوية، ص 109.

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 3،ص340. وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص559.

[3] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري ،ج 16، ص 192- 200، الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1، ص 243.

وإن من رحمة الله بعباده أن أرسل رسله عليهم الصلاة والسلام محذِّرة إياهم من عذابه إن هم عصوه؛ ليحذروه ويتقوه؛ و لئلا يكون ثمت عذر لمعتذر، أو حجة لمحتج

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165]، فحُقَّ لأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام أن يخافوا من عذاب الله، وأن يُخوِّفوا منه أقوامهم، كما دل على ذلك قوله تعالى عن نبيه محمدﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: 15]، وقوله تعالى عن نوح عليه السلام مخاطبًا قومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، وهذا اليوم العظيم هو يوم القيامة ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 6].

ولمَّا كان الكفر من أعظم الذنوب عند الله، حذَّر الله منه عباده غاية التحذير، مبيِّنًا مآل أصحابه في يوم تتكشف فيه الحقائق، ويبدو لهم ما كان عنهم غائبًا، فيندمون ولات ساعة مندم، ويقاسون من الآلام والأهوال ما لا قِبَل لهم به، فيوقنون حينئذٍ بالعذاب، ويتبرأ منهم الأهل والأصحاب، ويحلُّ بهم قبل ورودهم النَّار من العذاب ما تتفطر منه الأكباد؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا *الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا *وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 25 – 29]. ومما ذكره الله تعالى من أحوالهم في يوم التناد ما يأتي:

1- الذل والهوان والحسرة والخزي:

وهذه العقوبات التي تصيبهم دلت عليها آيات عدة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 27].

قال الطبري: "والذين عملوا السيئات في الدنيا فعصوا الله فيها وكفروا به وبرسوله، ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾: فله جزاء سيئة من عمله السيئ الذي عمله في الدنيا،﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾:

من عقاب الله في الآخرة ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، يقول: وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله إياهم ﴿ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ يقول: ما لهم من الله من مانع يمنعهم إذا عاقبهم يحول بينه وبينهم" [1].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: 27].

"﴿يُخْزِيهِمْ﴾: يفضحهم على رؤوس الخلائق، ويبين لهم كذبهم وافتراءهم على الله ﴿ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾ أي: تحاربون وتعادون الله وحزبه لأجلهم، وتزعمون أنهم شركاء لله، فإذا سألهم هذا السؤال لم يكن لهم جواب إلا الإقرار بضلالهم، والاعتراف بعنادهم فيقولون: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 37] ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ أي: العلماء الربانيون: ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿وَالسُّوءَ﴾ أي: سوء العذاب" [2].

وفي يوم القيامة عندما يشاهدون ما منَّ الله به على عباده المؤمنين من النعيم المقيم، والثواب العظيم، تشتد حسرتهم ويعظم ندمهم بسبب إيقانهم بعذاب النَّار وسخط الجبَّار [3]، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39].

وهذه الحسرات تتبين من قيلهم، كما ذكر الله ذلك عنهم في مواضع عدة في كتابه، منها ما يأتي:

قول سبحانه وتعالي: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: 8]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ **(الصافات: 20)** ومن ذلك: تمنيهم لرؤية من أضلوهم ليطئوهم بأقدامهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: 29]، ومن ذلك: تحسرهم على عدم الإيمان بالله ورسله وتمني الرجوع إلى الدنيا، عندما يوقفون على النَّار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27]، فتزداد حسراتهم حسرات فوق حسرات، ويتمنون النجاة من هذا العذاب ولكن هيهات هيهات.

---

[1] جامع البيان، الطبري، ج12، ص 166-167، وينظر: معالم التنزيل، البغوي،ج3، ص 153-154.

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2، ص 738، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 438-439.

[3] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج15، ص 544-545، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص492.

2- اسوداد وجوههم وتغيّرها:

لمَّا كان الوجه أشرف أعضاء الإنسان، أهان الله الكفار وأذلهم باسوداد وجوههم وتغيِّرها، حتى إن وجوههم من شدة ما أصابهم من الهم تكون كالحة عابسة، كما في قوله تعالى:

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: 24] أي: مسودة كالحة [1]، قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: 40-41]؛ أي: يغشاها السواد، فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 27] قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: 102]، وهذه أقبح صورة، أن تكون الوجوه سودًا والعيون زرقًا [2].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ* تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ* أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ* قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ* قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 102- 108] يعقب سيد قطب على هذه الآيات قائلاً: " مشهد لفح النار للوجوه حتى تكلح، وتشّوه هيئتها، ويكدر لونها... مشهد مؤذ أليم. وهؤلاء الذين خفت موازينهم خسروا كل شيء. فقد خسروا أنفسهم. وحين يخسر الإنسان نفسه فماذا يملك إذن؟ وما الذي يتبقى له. وقد خسر نفسه التي بين جنبيه، وخسر ذاته التي تميزه، فكأنما لم يكن له وجود. وهنا يعدل عن أسلوب الحكاية إلى أسلوب الخطاب والمواجهة، فإذا العذاب الحسي- على فظاعته- أهون من التأنيب والخزي الذي يصاحبه. وكأنما نحن نراه اللحظة ونشهده في حوار ممض طويل: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾."[3]

وكأنما يخيل إليهم- وقد سمعوا هذا السؤال – أنهم مأذونون في الكلام، مسموح لهم بالرجاء. وأن الاعتراف بالذنب قد يجدي في قبول الرجاء: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ وهو اعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة...ولكن كأنما هم قد

---

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج 23، ص 510- 511.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج23، ص 510و ج24، ص 127، والمحرر الوجيز، ابن عطية، ص1950، وتيسير الكريم الرحمن: السعدي، ص911، وأضواء.البيان، ج1، ص 206، واليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، عبدالمحسن المطيري، ص251 -253.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج18، ص 2481.

تجاوزوا حدهم وأساءوا أدبهم، فلم يكن مأذونًا لهم في غير الإجابة على قدر السؤال. بل لعله كان سؤالًا للتبكيت لا يطلب عليه جواب. فهم يزجرون زجرًا عنيفًا قاسيًا، قائلًا: اخرسوا واسكتوا سكوت الأذلاء المهينين، فإنكم لتستحقون ما أنتم فيه من العذاب الأليم والشقاء المهين.

3- إحباط الأعمال:

يتقبل الله من المؤمنين الذين آمنوا به وبرسوله ﷺ وأخلصوا له أعمالهم التي عملوها، فيجازيهم عليها أحسن الجزاء بمضاعفة أجورهم، كما قال تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: 160] وهذا تحقيق لوعد الله لهم بقوله: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: 97].

وأما الذين كفروا بالله ورسله فإن ما عملوه من أعمال صالحة لن تغني عنهم من الله شيئًا ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: 32]، فلا يقيم الله لهم وزنًا ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [الكهف: 105]؛ لأنهم "لا حسنات لهم؛ لعدم شرطها وهو الإيمان، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا**﴾ [طه: 112] لكن تُعَدُّ أعمالهم وتحصى، ويُقَرَّرون بها، ويخزون بها على رؤوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها" [1]، ويُريهم الله أعمالهم التي عملوها حسرات عليهم لذهابها واضمحلالها، كما قال تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾ [الفرقان: 23] [2].

قال ابن كثير: "وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها على شيء، فلما عُرِضت على الملك الحكم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا، وشُبِّهت في ذلك بالشئ التافه الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية، كما قال تعالى ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾ [إبراهيم: 18]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾" [3].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 488، وينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ج3، ص 352- 354.

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 226.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 416- 417، وينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 80.

وهذه المجازاة من الله لكلا الفريقين من تمام عدله؛ لقول النبي ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**" [1].

4- فضيحتهم أمام الخلائق:

من فضيحة الله لأعدائه الكفرة ما يأتي:

أ- لعن الله لهم والملائكة والنَّاس أجمعين:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [البقرة: 161] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة: 159].

قال الطبري: " اللاعنون: الملائكة والمؤمنون؛ لأن الله تعالى ذِكرُه قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحِل بهم إنما هي من الله والملائكة والنَّاس أجمعين، فقال جل ثناؤه: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فكذلك اللعنة التي أخبر الله جل ذِكرُه أنها نازلة بالفريق الآخر: الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيَّنه للنَّاس، هي لعنة الله التي أخبر أن لعنتَهم حالَّةٌ بالذين كفروا وماتوا وهم كفار، وهم اللاعنون؛ لأن الفريقين جميعًا أهل كفر " [2].

فالظالم تنزل عليه اللعنة يوم القيامة، وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ [غافر: 52]، ويقول الله تبارك تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: 18]؛ فلا يكون لهذا الظالم يوم القيامة نصير ولا شفيع ولا حميم.

ب- توبيخهم على شركهم:

قال تعالى: ﴿**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [النحل: 27].

---

[1] صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار، باب جَزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَتَعْجِيلِ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا، ص 713، رقم2808، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

[2] جامع البيان، الطبري، ج2، ص 737.

وفي تفسير الآية: " أي: يُظْهِر فضائحهم، وما كانت تُجِنه ضمائرهم فيجعله علانية، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: 9] أي: تظهر وتشتهر... ويخزيهم الله على رءوس الخلائق، ويقول لهم الرب تبارك وتعالى مقرّعًا لهم وموبّخًا: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ تحاربون وتعادون في سبيلهم. أين هم عن نصركم وخلاصكم ها هنا؟ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشعراء: 93]، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: 10]، فإذا توجهت عليهم الحجة، وقامت عليهم الدلالة، وحقت عليهم الكلمة، وسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم: السادة في الدنيا والآخرة، والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة، فيقولون حينئذ: ﴿ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: الفضيحة والعذاب محيط اليوم بمن كفر بالله وأشرك به ما لا يضره وما لا ينفعه) [1]."

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: 74].

قال ابن عطية: " التقدير: واذكر يوم يناديهم، وكرر هذا المعنى إبلاغًا وتحذيرًا، وهذا النداء هو عند ظهور كل ما وعد الرحمن على ألسنة المرسلين من وجوب الرحمة لقوم، والعذاب لآخرين، ومن خضوع كل جبار وذُلِّه لعزة رب العالمين، فيتوجه حينئذ توبيخ الكفار فيقول الله تعالى لهم ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ على معنى التقريع" [2].

ج- حشرهم عُمْيَانًا وبُكْمًا وصُمًّا:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

في هذه الآية يخبر الله تبارك وتعالى أن الهداية والإضلال بيده، فمن هداهم للإيمان به وبرسوله ﷺ ووفقهم لذلك فهم المهتدون المصيبون للحق، ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾ عن الحق فيخذله عن إصابته ولم يوفقه للإيمان بالله وتصديق رسوله، فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾؛ أي: ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة. ﴿ ـلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾

---

[1] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج14، ص 207- 208، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2، ص 739، وتيسير الكريم الرحمن: السعدي، ص 438.

[2] المحرر الوجيز، ص 1448.

وهو جمع أبكم، ويعني بالبكم: الخرس، ولمَّا كانوا في الدنيا بُكْمًا وعُمْيًا وصمًّا عن الحق جازاهم الله بذلك في محشرهم؛ جزاءً وفاقًا على أعمالهم [1].

5- **حشرهم مع أمثالهم:**

يحشر الظالم يوم القيامة في نار جهنم مع أمثاله من الظلمة، يقول الله ﷻ: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾ [الصافات: 22- 23] والمراد بها: أتباعهم، وأشباههم، والذين عملوا بأعمالهم الباطلة [2].

ويقول الله ﷻ: ﴿**فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾ [سبأ: 42].

ويقول الله ﷻ: ﴿**فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ**﴾ [الذاريات: 59].

6- **يلقى الله سبحانه وتعالى وهو عليه غضبان:**

أخبر النبي ﷺ أن الظالم يلقى الله وهو غضبان عليه يقول ﷺ: " **من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة، لقي الله وهو عليه غضبان**" [3].

7- **الندم والحسرة يوم القيامة:**

والظالمون يصيبهم الندم والحسرة يوم القيامة: فكل ظالم سيندم هناك، ولات ساعة مندم، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [يونس: 45]، وقال تعالى:

﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**﴾ [الفرقان: 27]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ* وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ* فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ**

---

[1] ينظر: جامع البيان، الطبري،ج15، ص 92-94، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 90، وتيسير الكريم الرحمن: السعدي، ص 467.

[2] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص: 385

[3] صحيح البخاري، البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ رقم 7445، ج9، ص132.

بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ* قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: 47- 51].

8- الحرمان من شفاعة الرسول ﷺ:

والظلمة يحرمون من شفاعة إمام المرسلين وشفاعة من يأذن الله لهم في الشفاعة لعباده، كما قال الله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

9- الظالم يخسر حسناته:

والظالم يخسر حسناته، بل قد تضاف سيئات من ظلمه على سيئاته بسبب ظلمه: قال النبي ﷺ: **"مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليَومَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه"** [1].

والأدلة على عقاب الظالمين في القرآن والسنة لا حصر لها من ذلك:

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: 167- 169].

وقوله ﷻ:﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 52].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [النحل: 85].

وقوله ﷻ: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

وقوله ﷻ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: 65].

فالظالمون مصيرهم العذاب الأليم في نار جهنم، وتكون هي نهايتهم فبئست النهاية، وساءت الخاتمة؛ فعاقبة الظالمين جهنم لا يموتون فيها ولا يحيون،هذا إن لم يتحللوا من مظالمهم

[1] رواه أبو هريرة رضي الله عنه، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، ج8، ص 111، رقم 6534.

في حياتهم الدنيا، يقول الرسول ﷺ: " **من اقتطع حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينِه حرَّم اللهُ عليه الجنةَ وأوجب له النارَ، فقال رجلٌ وإنْ شيءٌ يسيرٌ قال: وإنْ قضيبٌ من أراكٍ وإنْ قضيبٌ من أراكٍ**" [1].

كما أن الظالم سيطوق يوم القيامة بسبب ظلمه: قال النبي ﷺ: " **من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين**" [2]. هذا الذي ظلم قيد شبر من الأرض، تكون هذه عقوبته يوم القيامة، فكيف بالذي يظلم بما زاد عن ذلك**!!!**.

---

[1] صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ج1، ص 122، رقم: 137.

[2] صحيح البخاري، البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، ج3، ص 130،2453، رقم: 3195.

الفصل الثاني
آيات (أظلم الناس) في السياق القرآني

المبحث الأول

آيات (أظلم الناس) في القرآن المكي والمدني

توطئة:

قبل الحديث عن مناسبة الآيات لما قبلها وما بعدها لا بد من الحديث عن مصطلح القرآن المكي والمدني؛ فقد نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ منجمًا، وقد اعتنى العلماء عنايَة بالغَة به، فنال من الدراسة والشرح والاجتهاد قدرًا كبيرًا في مناحٍ عدةٍ، منها بيان الآيات المدنية والمكية، واعتمدوا أساليب عدة لتحديد ما هو مكي وما هو مدني، وسأبدأ الحديث عن اصطلاحات معرفة المكي من المدني، من خلال الآتي:

المطلب الأول: مناهج العلماء في التفريق بين المكي والمدني. [1]

للعلماء ثلاثة اعتبارات في التفريق بين المكي والمدني، وهي:

- **اعتبار المكان.**

ويعني هذا أن المكي ما نزل بمكة، ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة. وهذا التعريف مردودٌ؛ لأنه غيرُ ضابطٍ ولا حاصرٍ.

- **اعتبار زمن النزول:**

ويعني هذا أن المكي ما نزل قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وإن كان نزوله في غير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة، وهو ما عليه جمهور العلماء.

- **اعتبار المخاطب.**

ويعني أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة، ويحمل على هذا ما نقل عن ابن مسعود أنه قال: " ما كان في القرآن ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ أنزل بالمدينة أي مدني، وما كان بلفظ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ و ﴿**يَا بَنِي آدَمَ**﴾ فهو مكي، وذلك أن الإيمان كان غالبًا على أهل المدينة، فخوطبوا بـ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾، وكذلك خطاب الكافرين بـ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ ؛ لأن الكفر كان غالبًا على أهل مكة.

---

[1] ينظر هذه الآراء بالتفصيل في، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2، ص 244- 245، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1، ص 6 وما بعدها، ومناهل العرفان، الزرقاني، ج1، ص 193- 194.

وهذا التقسيم لوحظ فيه المخاطبون، لكنه غير ضابط، ولا حاصر لجميع آيات القرآن الكريم لأمرين:

الأمر الأول: أنّه يوجد سور مدنية صُدرت بصيغة ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ [النساء: 1]، وكذلك فإن سورة البقرة مدنية، وفيها ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ البقرة: 21].

الأمر الثاني: يوجد سورٌ في القرآن الكريم ليس فيها ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ و﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾، فبناء على الضابط السابق لا يمكن تصنيف هذه السور.

وعلى هذا فإن هذا التقسيم غير ضابط ولا حاصر.

وبناءً على ما سبق بيانه فإن الراجح من هذه التعريفات الثلاثة هو التعريف الثاني، وذلك للأسباب الآتية:

1. أنه ضابط وحاصر ومطرد لا يتخلف، واعتمده العلماء واشتهر بينهم.
2. أن الاعتماد عليه يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكيّ والمدنيّ.
3. أن غيره من التعريفات غير منضبطة بناء على ما سبق بيانه.

المطلب الثاني: فوائد معرفة المكي والمدني:

إن لمعرفة المكي والمدني، والدراية بضوابط كل منهما، فائدة عظيمة ألا وهي: القدرة على تجلية وتوضيح مميزات كل منهما، وبالتالي إدراك مدى التشابه والاختلاف بينهما في طرح المواضيع، وهذا ما يهمنا في هذا المقام، وسوف أجملها في نقاط هي: [1]

- معرفة المكي والمدني يساعد على تمييز الناسخ من المنسوخ فيما لو وردت آيتان متعارضتان، إحداهما مكية والأخرى مدنية، فإننا نحكم بنسخ المدنية للمكية؛ لتأخرها عنها.
- أنه يعين على معرفة تاريخ التشريع، والوقوف على سنة الله – عز وجل– الحكيمة في تشريعه؛ وهي التدرج في التشريعات بتقديم الأصول على الفروع، والإجمال على التفصيل، وهذا ما يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.
- معرفة هذا العلم يزيد الثقة بهذا القرآن العظيم، وبوصوله إلينا سالمًا من التغيير والتحريف، ويدل على ذلك عناية المسلمين بهذا العلم عن طريق تناقلهم له، وما نزل قبل الهجرة وبعدها في السفر والحضر، وفي الليل والنهار.

---

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ج1، ص 189– 190، ومناهل العرفان: الزرقاني، ج1، ص 195، والواضح في علوم القرآن: مصطفى البغا، ص 67.

- معرفة هذا العلم تفيد وتساعد في تفسير القرآن الكريم؛ فإن معرفة مكان النزول وزمنه والمخاطبين تعين في فهم القرآن العظيم وتفسيره.
- أنه يفيد في معرفة أحداث السيرة النبوية؛ من خلال متابعة أحوال النبي ﷺ، وموقف المشركين من دعوته في العصر المكي والعصر المدني، والوقوف على الغزوات التي غزاها الرسول ﷺ؛ كغزوة بدر، وأحد، وبني قريظة والفتح وحُنين وغير ذلك.
- تذوق أساليب القرآن المتنوعة في خطابه، والاستفادة منها في الدعوة إلى الله؛ فمخاطبة الكفار تحتاج إلى الأسلوب الخطابي في العهد المكي عن طريق التركيز على إثبات وجود الله عز وجل، والبعث والعقيدة. ومخاطبة أهل الكتاب والمنافقين تحتاج إلى أسلوب الخطابة في العهد المدني؛ عن طريق مناقشتهم في عقيدتهم المنحرفة، وبيان التحريف في كتبهم.

المطلب الثالث: آيات (أظلم الناس) في القرآن المكي والمدني:

وما يهمنا في هذا المقام هو السور التي تتضمن الآيات موضوع الدراسة " **آيات أظلم الناس**" في القرآن المكي والمدني، ومن خلال استقصاء سور القرآن وآياته، تبين للباحثة أن كلمة (أظلم) جاءت بمعنى الظلم في ستة عشر موضعًا في القرآن الكريم في إحدى عشرة سورة؛ تسع سور منها مكية، وسورتان مدنيتان، وترى الباحثة من خلال استقراء هذه الآيات أن سبب ورود آيات (أظلم الناس) في القرآن المكي أكثر منه في القرآن المدني وذلك للأسباب الآتية:

1. أن السور المكية تحدثت عن المشركين الذين رفضوا الإسلام والدعوة، وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: 13]
2. أن طبيعة أهل مكة الكبر والتعالي والإنكار، فكثر منهم الظلم والافتراء على الله تعالى.
3. أن القرآن المكي جاء لترسيخ العقائد وأصول الدين، وعدّ أن إنكارها ظلم كبير.
4. أن القرآن المكي أكثر من ذكر قصص الأمم السابقة، وأورد ظلمهم وعقاب الله لهم.
5. أن القرآن المكي أكثر من ذكر مساوئ المشركين وعاداتهم الجاهلية؛ من وأد البنات، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وكل هذا من صور الظلم.

أما سبب قلة ورود كلمة (أظلم) في القرآن المدني فيعود لأسباب، منها:

1. التوجه لمخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام باستمرار، وبيان تحريفهم لكتب الله.
2. أن السور المدنية أكثرت من الحديث عن المنافقين وكشفت عن سلوكهم وصفاتهم.

3. طبيعة القرآن المدني يتناول مواضيع العبادات والمعاملات، والحدود في الإسلام، والميراث، وأحكام النساء، بخلاف القرآن المكي الذي تناول الحديث عن الشرك، الذي هو الظلم.

المطلب الرابع: آراء المفسرين في توجيه لفظ (أظلم):

ورد قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾ في خمس عشرة آية، في عشر منها سبقت بالواو ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾، وفي خمسة منها سبقت بالفاء ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ** ﴾، وآية واحدة سبقت بالضمير هم ﴿**هُمْ أَظْلَمَ**﴾.

وقبل ذكر أجوبة المفسرين في توجيهها أسوق كلام أبي حيان في ذكر إعراب هذه اللفظة – من أظلم– ومعناها والإشكال الناشئ من ذلك، وهو توهم التعارض بينها حتى يتضح وجه الإشكال فيها: يقول أبو حيان في البحر المحيط: "... ﴿ ومَنْ﴾: استفهام، وهو مرفوع بالابتداء، و ﴿أَظْلَمُ﴾: أفعل تفضيل، وهو خبر عن ﴿ ومَنْ﴾ ولا يراد بالاستفهام هنا حقيقته، وإنما هو بمعنى النفي، كما قال تعالى: ﴿ **فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الأحقاف: 35]، أي: ما يهلك، ومعنى هذا: لا أحد أظلم ممن منع، وقد تكرر هذا اللفظ في القرآن، وهذا أول موارده" [1]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾ [الأنعام: 21]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ **[الأنعام: 157]، وقال عز وجل:** ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا**﴾ [الكهف: 57]، إلى غير ذلك من الآيات، ولما كان هذا الاستفهام معناه النفي كان خبرًا، ولمّا كان خبرًا توهم بعض الناس أنه إذا أُخذت هذه الآيات على ظواهرها، سبق إلى الذهن التناقض فيها، لأنه قال المتأول في هذا: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله، وقال في أخرى: لا أحد أظلم ممن افترى على الله، وفي أخرى: لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها [2].

إذا تقرر هذا، فقد أجاب المفسرون عن ذلك، وبعد التتبع لكلامهم تبين أن أجوبتهم تنحصر في خمسة أجوبة [3]، وهي كالآتي:

---

[1] البحر المحيط، أبو حيان، ج1، ص 571.

[2] المرجع السابق، ج1، ص 572.

[3] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج1، ص 571، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج4، ص 74، والاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج4، ص 1482، وتفسير اللباب، ابن عادل، ص 355، وروح المعاني، الألوسي، ج1، ص 362، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج3، ص 310، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، ص 21.

الأول: منها تخصيص كل موضع بمعنى صلته [1]، أي لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله، ولا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبا، وإذا تخصصت بصلاتها زال الإشكال.

الثاني: أن التخصيص بالنسبة إلى السبق، أي لمّا لم يسبقهم أحد إلى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم **ممن** جاء بعدهم سالكًا طريقهم.

قلت: في هذا نظر لأنه يحصر ذلك بأول من فعله، وأما من فعله بعد ذلك لا ينطبق عليه ذلك، وهذا تخصيص للنص بلا مخصص، ثم لا يزول به الإشكال بل يبقى قائمًا أي: أول هؤلاء أعظم ظلمًا.

الثالث: أن نفي التفضيل لا يستلزم نفي المساواة، فلم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر، لأنهم يتساوون في الأظلمية، فيصير المعنى: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله، ومن افترى على الله كذبا، ومن كذب بآيات الله، ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدل على أن أحدهم أظلم من الآخر، كما إذا قلت: لا احد أفقه من فلان، وفلان مثلًا [2].

قلت: وفيه نظر: لأنه خلاف ظاهر في القرآن، وينتقض بما لو جمع واحد من الناس بين أكثر من ذنب من هذه الذنوب فلا شك أنه أظلم ممن اقتصر على واحد منها.

الرابع: أن الاستفهام في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ المقصود منه التهويل والتفظيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره، وهذا القول ضعَّفه العلامة الشنقيطي بقوله: " يظهر ضعفه لأنه خلاف ظاهر في القرآن" [3].

---

[1] قال الأمين الشنقيطي في العذب النمير: " ومعنى (تتخصص بصلاتها): أن كل واحد منها تفسّره صلة موصوله، فيكون المعنى هنا: لا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبًا، ولا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله، ولا أحد من المعرضين أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها إلى آخره" العذب النمير، الشنقيطي، ج1، ص 513، وعبر عنه العلامة ابن عثيمين بقوله: " إنها اسم تفضيل في نفس المعنى الذي وردت به... فتكون الأظلمية هنا – بالنسبة للمعنى الذي سيقت فيه– ليست أظلمية مطلقة لأنها لو كانت أظلمية مطلقًا لكان فيه نوع من التناقض" تفسير سورة الكهف: ابن عثيمين، ص 29.

[2] دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي: ص 21.

[3] دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، ج1، ص 527.

الخامس: أنه كلمة مشتركة في الأظلمية وفي مستوى واحد، قال العلامة ابن عثيمين: " وفيه نظر لأنه لا يمكن أن نقول: إن من ذكر بآيات ربه فأعرض عنها أنه يساوي من افترى على الله كذبا، أو مَن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه يساوي من كذب على الله، ونحو ذلك" [1].

الترجيح:

بعد النظر في هذه الأقوال، وما أُورد عليها من تعقيب ترجح الباحثة القول الأول، وهو أنه لا أظلم منه في بابه والنوع الذي هو منه، لأنه القول الذي يسلم من الاعتراض، ومما يؤكد ذلك أنه لو جمع شخصٌ واحدٌ بين عدة ذنوب من هذه الذنوب فإنه يكون أشد ظلمًا ممن اقتصر على واحد منها، فمثلًا: من جمع بين افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق، وكتم الشهادة التي عنده من الله، ومنع المساجد من ذكر الله والسعي في خرابها، لا شك أنه أشد ظلمًا ممن فعل واحدًا منها.

آيات أظلم الناس في القرآن :

وليسهل دراسة هذه الآيات والاطلاع عليها؛ أوردها في جدول على النحو الآتي:

م	الآية	رقمها	السورة	مكية أم مدنية
1	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	114	البقرة	مدنية
2	﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	140	البقرة	مدنية
3	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾	21	الأنعام	مكية
4	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾	93	الأنعام	مكية
5	﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ	144	الأنعام	مكية

[1] ينظر: تفسير سورة الكهف، ابن عثيمين، ص 102.

م	الآية	رقمها	السورة	مكية أم مدنية
	بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾			
6	﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾	157	الأنعام	مكية
7	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾	37	الأعراف	مكية
8	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾	17	يونس	مكية
9	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	18	هود	مكية
10	﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾	15	الكهف	مكية
11	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾	57	الكهف	مكية
12	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾	68	العنكبوت	مكية
13	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾	22	السجدة	مكية
14	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾	32	الزمر	مكية
15	﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾	52	النجم	مكية
16	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	7	الصف	مدنية

المبحث الثاني

مناسبة آيات (أظلم الناس) للسياق القرآني

توطئة:

علم المناسبة علم قيم من العلوم التي تعين على فهم القرآن، والقرآن الكريم كتاب معجز، إذا دقق تدقيقا علميا من أوله إلى آخره يظهر ظهورا واضحا أنه كتاب قوي الاتصال حيث إن الاتصال والنظم الموجود بين آياته وسوره كجريان الدم في الجسم .والذي يريد أن يشتغل بالبحث عن معاني القرآن الكريم في صورة صحيحة يجب عليه أن يعتني بالمناسبات بين الآيات والسور وبين أجزاء الآية الواحدة، وبين أول كل آية وختامها، وبين أول كل سورة وآخر ما قبلها إلى غير ذلك من وجوه المناسبات، وفي هذا المبحث نتناول علم المناسبات في القرآن الكريم، وتطبيق هذا العلم في السور والآيات موضوع الدراسة والبحث من ورودها في السياق القرآني؛ لنستخلص رؤية متكاملة تؤدي بينا إلى فهم متكامل لهذه الآيات، وفي هذا المطلب نتناول تعريف المناسبة لغة واصطلاحًا، وأهمية وفوائد علم المناسبة.

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحًا

أولاً: المناسبة في اللغة

قال ابن فارس: " النون، والسين، والباء، كلمةٌ واحدة قياسُها اتِّصال شيءٍ بشيء، منه النّسَب، سمِّي لاتِّصاله وللاتِّصالِ به، تقول: نَسَبْتُ أنْسُبُ، وهو نَسِيبُ فلانٍ، والنسيب: الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض [1].

وفي لسان العرب: "والنَّسِيبُ المُناسِبُ والجمع نُسَباء وأَنْسِباءُ، وفلان يناسبُ فلانًا فهو نسيبه أي قريبه [2].

ويقول الراغب الأصفهاني": والنسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول؛ كالاشتراك بين الآباء والأبناء، ونسب بالعرض؛ كالنسبة بين بني الإخوة وبني الأعمام؛ قال تعالى: ﴿ **فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا** ﴾ [الفرقان: 54]" [3].

---

[1] معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ج5، ص 423.

[2] لسان العرب: ابن منظور، ج1، ص 756.

[3] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج1، ص 801.

وقال بدر الدين الزركشي: "المناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذى هو القريب المتصل كالأخوين. وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة "[1].

ثانيًا: المناسبة في الاصطلاح:

المناسبة في الاصطلاح: علمٌ تعرَف منه عِلَلُ ترتيب أجزاء القرآن [2]، أو وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة من أنواع الارتباطات كالسبب والمسبب والعلة والمعلول [3]، وقيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول [4].

يقول صاحب دلائل النظام: وقد أطلق على التناسب اسم النظام: " ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة... وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلامًا واحدًا ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخِر" [5].

وعند البلغاء: " التناسب والترتيب للمعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر" [6].

يتضح مما سبق أن علم المناسبة يعتني بالترتيب والاتساق والتآخي، وهو علم معرفة علل وأسباب هذا الترتيب والتآخي.

المطلب الثاني: أهمية وفوائد علم المناسبة في القرآن الكريم

إن لمعرفة علم المناسبات فوائد جمة، فهي تساعد على حسن التأويل ودقة الفهم وإدراك المعاني بين الآيات، فهي تربط الأفكار، وتلائم الألفاظ؛ فالقرآن الكريم فيه كثير من العلوم كالعقائد والأحكام والأخلاق والوعظ والقصص وغيرها من مقاصد القرآن، التي جعلها الله سبحانه وتعالى هداية للبشر، والتي تدور جميعها حول هداية القرآن والدعوة إلى الله، والقرآن يثبت هذا المعنى من خلال المقاصد والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور، فلو جمع كل علم لوحده لفقد القرآن بذلك أعظم مزايا هديه. يقول الإمام الرازي في ختام تفسيره لسورة البقرة: " ومن تأمل في لطائف

---

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج1، ص 35.

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج1، ص 6.

[3] المناسبة بين الآيات والسور، سامي حسن، مجلة دراسات، عدد1، مجلد 30، ص 12.

[4] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص35.

[5] دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي، ص 75.

[6] المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام عكاوي، ص 430.

نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك" [1].

ويقول الزمخشري: " وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي وردت ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف مع نفسه... وقال: فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغًا واحدًا ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق* " [2].

وقال الإمام الزركشي: " واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز بها العقول، ويعرف به قدر القائل... ثم يقول: وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التآلف حاله حال البناء المتلائم الأجزاء" [3].

وقال الزرقاني: "إن القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكمُ السّرد، دقيقُ السبك، متينُ الأسلوب، قويُّ الاتصال، آخذٌ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكةٌ واحدةٌ، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقةٌ مفرغة، أو كأنه سمطٌ وحيد وعقدٌ فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقاً لأوله، وبدا أوله مواتيًا لآخره" [4].

وقد ذكر صاحب النكت في إعجاز القرآن فوائد التناسب فقال: " والفائدة من التلاؤم حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس، لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة، ومثل ذلك قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحرف، وقراءته في أقبح ما يكون من الحرف والخط، فذلك متفاوت في الصورة، وإن كانت المعاني واحدة" [5].

وقال البقاعي مبيناً فائدة جليلة من فوائد معرفة هذا العلم: "وبهذا العلم يرسَخ الإيمانُ في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على

---

(1) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج4،ص 140.

* الشقاشق: الشقشقة: لهاة البعير ولا تكون إلا للعربي من الإبل، وقيل: هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج، والجمع الشقاشق، ومنه سمي الخطباء شقاشق، شبهوا المكثار بالبعير الكثير الهدر، شَقْشَقَةُ اللِّسَانِ": كَلاَمٌ لاَ طَائِلَ تَحْتَهُ. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج10، ص 185.

(2) – ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل: الزمخشري، ج2، ص 362.

(3) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص 61.

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج1، ص 44.

(5) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص 96.

حيالها بحسب التركيب. والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً، وأسهل تذوقًا" [1].

وهناك فوائد أخرى لهذا العلم منها [2]:

- أنه يفيد في معرفة أسرار التشريع، وحِكَم الأحكام وإدراك مدى التلازم التام بين أحكام الشريعة؛ فإذا قرأت قوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: 30]، وتعرفت على المناسبة بين الأمر بغض البصر وحفظ الفرج علمت ما بينهما من التلازم والتلاؤم؛ فحفظ الفرج لا يتم إلا بغض البصر، ومن أطلق بصره في الحرام فحري أن تزلّ قدمه في الآثام.
- أنه يعين على فهم معنى الآيات وتحديد المراد منها، ومن ذلك: خلاف المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا**﴾ [الصافات: 1] فقال قوم: هي الملائكة، وهذا قول الجمهور، وقال آخرون: هي الطير، والصحيح الأول؛ وذلك لأنا لو بحثنا عن المناسبة بين أول السورة وخاتمتها لوجدناه ذكر في الخاتمة في معرض حديث الملائكة عن أنفسهم: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾ [الصافات: 165- 166].
- وبه يتبين لك أسرار التكرار في قصص القرآن، وأن كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن، ولذلك ترى اختلافاً في ترتيب القصة ونظمها بحسب المناسبة وإن كانت متحدة في أصل المعنى [3].

المطلب الثالث: تعريف السياق القرآني في اللغة والاصطلاح:

أولًا: السياق في اللغة:

أصل " السِّياق" في اللغة: سِواق، قُلِبَت الوَاو يَاء لكَسرَة السّينِ [4]، وهو مأخوذ من الجذر اللغوي " س و ق".

قال ابن فارس: " السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقًا. والسيقة: ما استيق من الدواب. ويقال سقت إلى امرأتي صداقها، أسقته. والسوق مشتقة من هذا،

---

[1] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ج1، ص 149.

[2] علم المناسبات في القرآن، محمد الخضيري، موقع https: //alkhaderi.com/%8

[3] نظم الدرر، البقاعي، ج1، ص 14.

[4] تاج العروس، الزبيدي،، مادة: سوق، ج25، ص 475.

لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها" [1].

وفي الصحاح: " يقال: وَلَدتْ فلانةُ ثلاثةَ بنينَ على ساقٍ واحد، أي بعضهم على أثر بعض، ليست بينهم جارية" [2].

وقال الزمخشري: " وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و" إليك يساق الحديث" وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده" [3].

وفي لسان العرب: " ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا...، وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت" [4].

ومن مجموع النصوص اللغوية السابقة الواردة في معنى الجذر اللغوي للسياق: يتضح أن السياق يدور حول معنى التتابع والاتصال، " فسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه" [5].

ثانيًا: السياق في الاصطلاح:

انقسم الباحثون في تعريف السياق اصطلاحًا إلى فريقين:

الفريق الأول: حصروا السياق في الجانب المقالي فقط ضمن حدود السباق واللحاق، فهم يرون أن دلالة السياق مقصورة على المقال دون الحال وهو ما يسميه أهل اللغة بالسياق اللغوي، أو السياق المقالي.

يقول الدكتور المثنى عبد الفتاح: "السياق القرآني: هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال" [6].

ويقول البناني: " السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه" [7].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3، ص 117.

[2] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ج4، ص 1499.

[3] أساس البلاغة، الزمخشري، ج1، ص 484.

[4] لسان العرب، ابن منظور، ج10، ص 166.

[5] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية المصري، ج1، ص 465.

[6] نظرية السياق، المثنى عبد الفتاح، ص 15.

[7] حاشية البناني على جمع الجوامع، البناني، ج1، ص 20.

وعرف الباحث عبد الرحمن عبد الله المطيري: السياق القرآني: بأنه: تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى.

وعرف دلالة السياق القرآني بأنها: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة [1].

وعرف الباحث عبد الحكيم القاسم السياق بأنه: " تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده.وعرف الدلالة بأنها: " فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده".

وعرف دلالة السياق في التفسير: " بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له" [2].

الفريق الثاني: جعلوا السياق شاملًا للمقال المتمثل في السباق واللحاق، وشاملًا للحال أو المقام، وعلى ذلك فالسياق ينقسم إلى قسمين:

السياق اللغوي أو سياق المقال ويتمثل في: الجمل المكونة السابقة واللاحقة لنص الخطاب المراد تفسيره واستخلاص المقصود منه.

السياق الحالي أو سياق المقام: ويَعنُون به ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية لها أثر في فهمه: كحال المتكلم، والمخاطب، والغرض الذي سيق له...إلخ.

يقول الدكتور تمام حسان متحدثًا عن السياق: " هو ما انتظم القرائن الدالة على المقصود من الخطاب، سواء كانت القرائن مقالية أو حالية [3].

وعرفه الباحث سامي بن عبد العزيز العجلان بأنه: النظم التركيبي للكلام الذي يوجه دلالة الكلمات والجمل والفقرات؛ بناء على موقعها في النص، واستنادًا إلى العلاقات المعنوية بينها؛ بما يتفق في النهاية مع الغرض العام للكلام، ومع جملة الظروف الخارجية المصاحبة له [4].

---

[1] السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن المطيري، ص 71- 72.

[2] دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير الطبري، عبد الحكيم القاسم، ص 62.

[3] ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، بتصرف، ج1، ص 221.

[4] الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين " دراسة بلاغية في التراث العربي"، سامي بن عبد العزيز العجلان، ص 55.

وعرف الباحث فهد الشتوي السياق القرآني بأنه: " الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولًا عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع" [1].

ويمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية:

الأولى: أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام...**الثانية:** أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظا الحال والمقام، الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجهًا استدلاليًا [2].

ومن خلال ما سبق نجد أن الفريقين اختلفوا على وجه التحديد في دخول الحال " المقام" أو ما يسمى في علم أصول الفقه بقرائن الأحوال تحت مسمى دلالة السياق، واعتباره قسيمًا للمقال، رغم أنه لا أحد ينكر أن المقال لا يفهم إلا في ضوء الحال.

وقد رجح الكثير من الباحثين المذهب الأول في تعريف السياق وأنه يقتصر على السياق اللغوي أو المقالي فقط، وذلك لأن العلماء قديمًا استخدموا مصطلح السياق وكانوا يقصدون منه السياق اللغوي أو المقالي، كما كانوا يفرقون بين دلالة المقال ودلالة الحال، ومن هؤلاء ابن دقيق العيد – رحمه الله– حيث قال: السياقُ والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه. وهي المرشدة إلى بيان المُجْمَلات، وتعيين المحتملاتِ" [3] فيعبرون عن الدلالة الأولى بمصطلح السياق فيما يعبرون عن دلالة الحال بالحال أو المقام أو قرائن الأحوال ولم يعبر أحد منهم عن الحال بمصطلح السياق.

ومن خلال القراءة في كتب السابقين وقفت على نصوص أخرى وإن كانت قليلة تدل دلالة واضحة على شمول مفهوم السياق لدلالة الحال أو المقام، فهذا الحافظ ابن حجر العسقلاني– رحمه الله– يقرر صراحة في ثنايا كلامه اشتمال السياق على قرائن الأحوال فيقول: " كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب وعرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق" [4].

---

[1] دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، فهد الشتوي، ص 27.

[2] ينظر: دلالة السياق، ردة الله بن ضيف الطلحي، ج1، ص 39– 40.

[3] إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، ج2، ص 21.

[4] فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج9، ص 97.

وقد جعل الإمام الشاطبي- رحمه الله- دلالة الحال من السياق فيقول: "فالأوامر والنواهي من جهة اللفظ على تساو في دلالة الاقتضاء، والتفرقة بين ما هو منها أمر وجوب أو ندب وما هو نهي تحريم أو كراهة لا تعلم من النصوص، وإن علم منها بعض؛ فالأكثر منها غير معلوم، وما حصل لنا الفرق بينها إلا باتباع المعاني، والنظر إلى المصالح، وفي أي مرتبة تقع، وبالاستقراء المعنوي، ولم نستند فيه لمجرد الصيغة، وإلا لزم في الأمر أن لا يكون في الشريعة إلا على قسم واحد، لا على أقسام متعددة، والنهي كذلك أيضًا، بل نقول: كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ" [1].

المطلب الرابع: أهمية السياق القرآني

يعد السياق الذي ترد فيه الألفاظ من أكبر العوامل المحددة للدلالة، ومعرفة أي مدلولاتها أولى بالتقديم، والقبول، لذا كان للسياق القرآني أهمية بالغة في تفسير القرآن الكريم، فهو أصل عظيم من أصول التفسير، لا غنى للمفسر عنه، لما له من أثر ظاهر في فهم كلام الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح في الآية؛ فهو:

1- يعين على بيان المعنى وتحديده.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: " فتأمل ما قبل الآية وما بعدها، يطلعك على حقيقة المعنى"[2].
وقد أورد ابن قيم الجوزية -رحمه الله- مثالاً يبين فيه أهمية السياق في بيان المعاني ومعرفة المراد من الكلام؛ وهو قوله تعالى: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ [الدخان: 49]، فلو نظرنا إلى هذه الآية معزولة عن سياقها التي وردت فيه لاحتمل الأمر أن يكون المراد منها التكريم والتعظيم لكن بالنظر إليها وسط سياقها نجد أنها تدل على السخرية والاستهزاء ممن وجهت إليه [3].

يقول صاحب كتاب التطور الدلالي معقبًا على هذه الآية: "ولا يخفى أن نطق كلمة ﴿**ذُقْ**﴾ هنا لابد أن يكون منبوراً [4] شديدًا، وكذلك التوكيد في: ﴿**إِنَّكَ**﴾ ثم نغمة التهكم والسخرية في ﴿**الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾؛ لأن سياق الآيات العجيب يحتم ذلك. ويلاحظ كذلك اختيار كلمة

[1] ينظر: الموافقات، الشاطبي، ج3، ص 419- 420.

[2] دقائق التفسير، ابن تيمية،ج2، ص 313.

[3] بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج4، ص 815.

[4] النبر هو: هو الضغط على مقطع أو حرف معين من حروف الكلمة بحيث يكون صوته أعلى بقليل مما جاوره من الحروف. ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 160- 164.

﴿فَاعْتِلُوهُ﴾[الدخان 47] دون غيرها لكي توحي بأن هذا الذي يدعي العزة والكرامة في الدنيا سوف يقتلع من مكانته هذه ويلقى في سواء الجحيم" [1].

2- السياق مهم في بيان صحة التفسير، والترجيح عند الاختلاف

يقول مسلم بن يسار – رحمه الله- [2]: " إذا حدثت عن الله حديثًا فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعد" [3] وهذا يدل على العناية بالسياق في كل تفسير قل أو كثر.

ويقول الكلبي- رحمه الله-: من أوجه الترجيح " أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله، وما بعده". [4]

ويقول ابن تيمية- رحمه الله – في بيان أن السياق عنده هو الأصل العظيم في فهم كتاب الله وسنة رسوله: "فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية" [5].

ثم يقول: "فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته، وأن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله أو بعض صفاته، لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ حيث ورد، حتى يكون ذلك طرداً للمثبِت، ونقضاً للنافي، بل ينظر في كل آية وحديث، بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع، في باب فهم الكتاب والسنة، والاستدلال بهما مطلقا، ونافع في معرفة الاستدلال، والاعتراض والجواب، وطرد الدليل ونقْضه، فهو نافع في كل علمٍ خبري أو إنشائي، وفي كل استدلال أو معارضة من الكتاب والسنة، وفي سائر أدلة الخلق" [6].

ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسير ابن كثير -رحمه الله- لقوله تعالى ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: 23]: " قيل معناه: ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد. وقيل معناه: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ على الله عز وجل. وهذا مقابل لما وصف

---

(1) التطور الدلالي، عودة خليل أبو عودة، ص 81.

(2) هو: أبو عبد الله مسلم بن يسار البصري الفقيه، مولى، تابعي ثقة، روى عن ابن عباس وابن عمر، توفي سنة 100هـ، وقيل 101هـ. ينظر: تهذيب الكمال، ج27، ص 551، وسير أعلام النبلاء: الذهبي، ج4، ص 510.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1، ص 7.

(4) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الكلبي، ج1، ص 9.

(5) مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج6، ص 14.

(6) المرجع السابق، ج6، ص 18.

به أولئك الفجار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15] فذُكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم" [1].

من هنا يظهر أن ابن كثير –رحمه الله– نظر إلى سياق الكلام في سابقه تصحيحاً لهذا التفسير، حيث إن الآية تُحمل على المعنيين .

3- السياق مهم في بيان المناسبات على اختلاف أنواعها، فهناك المناسبة بين السور، والمناسبة بين الآيات، والمناسبة بين القصص، والمناسبة بين كلمات السورة الواحدة، والمناسبة بين السورة واسمها.

يقول السيوطي: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن: هو أن تنظر الغرض الذي سيقت له السورة" [2]. ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن الزبير الغرناطي –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: 71- 72]، فقد ختمت الآية الأولى بقوله ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ والثانية بقوله ﴿فَلَا تُبْصِرُونَ﴾ حيث أجاب عن ذلك –رحمه الله– بقوله: "والجواب...: أن قوله تعالى في الآية الأولى مناسب للمدرك ليلاً من ضربي ما يعتبر به المسموعات والمبصرات، وإنما تُدرك فيه المسموعات؛ لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها، فجيء بما يناسب مع ذكر النهار بما يناسب أيضا، فقيل لأن المبصرات تدرك نهاراً ولا تدرك ليلاً، فجيء مع كل بما يناسب، والله أعلم" [3].

4- السياق مهم في بيان مرجع الضمير:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: 7] قيل: الضمير يحتمل أن يكون عائداً إلى الإنسان، وأن يكون عائداً إلى رب الإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: 6] ولكن النظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان، وإن كان هو الأول في اللفظ، بدليل قوله بعده: وإنه لحب الخير لشديد، فإنه للإنسان بلا نزاع، وتفريق الضمائر، بجعل الأول للرب والثاني للإنسان لا يليق بالنظم الكريم [4].

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4، ص 487.
[2] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج2، ص 293.
[3] ملاك التأويل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ج2، ص 910- 911
[4] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الكلبي، ج4، ص 214.

5- السياق يعين على بيان المحذوف:

قال العز بن عبد السلام –رحمه الله–: "ولا يحذفون ما لا دليل عليه، وإذا دار المحذوف بين أمرين قدر أحسنهما لفظاً ومعنى، والسياق مرشد إليه، فيقدر في كل موضع أحسن ما يليق به" [1].

ومثال ذلك ما قاله أبو السعود – رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18]: "﴿ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾: أي تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به، وجواب الشرط محذوف، ثقة بدلالة السياق عليه، أي: فإني عائذة به أو فتعوذ بتعوذي أو فلا تتعرض لي" [2].

6- السياق يعين على تحديد زمن النزول:

ومثال ذلك ما ذكره ابن جرير الطبري –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194] اختلف أهل التأويل فيما نزل فيه هذه الآية فقال بعضهم:... هذا ونحوه نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل، وليس لهم سلطان يقهر المشركين، وكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والأذى، فأمر الله المسلمين من يجازي منهم أن يجازي بمثل ما أوتي إليه أو يصبر أو يعفو فهو أمثل، فلما هاجر رسول ﷺ إلى المدينة وأعز الله سلطانه أمر المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى سلطانهم، وأن لا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية.

وقال آخرون: بل معنى ذلك فمن قاتلكم أيها المؤمنون من المشركين فقاتلوهم كما قاتلوكم، وقالوا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ بالمدينة وبعد عمرة القضاء...، وأشبه التأويلين بما دل عليه ظاهر الآية الذي حكي عن مجاهد [3](وهو القول الثاني)؛ لأن الآيات قبلها إنما هي أمر من الله للمؤمنين بجهاد عدوهم على صفة، وذلك، قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 190] والآيات بعدها، وقوله: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ إنما هو في سياق الآيات التي فيها الأمر بالقتال والجهاد، والله جل ثناؤه إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة،

---

[1] الإمام في بيان أدلة الأحكام، الإمام عز الدين السلمي، ج1، ص 204.

[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ج5، ص 260.

[3] هو: مجاهد بن جبير أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي المكي، إمام في التفسير والتأويل، ثقة، توفي سنة 102هـ، وقيل سنة 103، وقيل سنة 104هـ. ينظر: حلية الأولياء: أبو نعيم أحمد الأصبهاني، ج3، ص 279.

فمعلوم بذلك أن قوله: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ مدني لا مكي، إذ كان فرض قتال المشركين لم يكن وجب على المؤمنين بمكة [1].

7- السياق مهم في الدلالة على وجود النسخ وعدمه:

ومن ذلك ما أورده ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65] حيث قال: " وهذه الآية أعني قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ وإن كان مخرجها مخرج الخبر فإن معناها الأمر، يدل على ذلك قوله: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: 66] فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندباً لم يكن للتخفيف وجه؛ لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدماً لم يكن للترخيص وجه إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد، وإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن حكم قوله: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ناسخ لحكم قوله: ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾" [2]، فمن قال: بأن الآية الأولى على وجه الندب لا الفرض، فإن السياق يدفع ذلك ويضعفه؛ لقوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ والتخفيف مقابل الإيجاب، وهذا يدل على نسخ الأولى بالثانية، وقد يكون الخلاف لفظياً، إذ من العلماء من يعتبر التخفيف نسخاً، ومنهم من لا يعتبره كذلك، والمراد أن الحكم في الآية الأولى تغير من وجوب مصابرة المجاهد لعشرة من الكفار إلى وجوب مصابرته لاثنين منهم، وتحرير محل النزاع هو: هل يعتبر التخفيف نسخاً أم لا؟

قال الشوكاني – رحمه الله-: "وقد اختلف أهل العلم: هل هذا التخفيف نسخ أم لا؟ ولا يتعلق بذلك كثير فائدة" [3].

---

[1] ينظر: جامع البيان: الطبري، ج2، ص199.

[2] المرجع السابق، ج10، ص 41.

[3] فتح القدير، الشوكاني، ج2، ص 324.

8- السياق يعين على بيان سبب النزول الصحيح عند تعدد أسباب النزول.

ويدل على ذلك ما قاله ابن جرير الطبري –رحمه الله– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]: " واختلف أهل التأويل بهذه الآية وفيمن نزلت، فقال بعضهم: نزلت في الزبير بن العوام [1] وخصم له من الأنصار اختصما إلى النبي ﷺ في بعض الأمور...، وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في المنافق واليهودي اللذين وصف الله صفتهما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوت ِ﴾ [النساء: 60]...، قال أبو جعفر: وهذا القول أعني قول من قال عُنِيَ به المحتكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ أولى بالصواب؛ لأن قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65] في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم، فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى، فإن ظن ظان أن في الذي روي عن الزبير وابن الزبير من قصته وقصة الأنصاري في شراج الحرة، وقولَ من قال في خبرهما فنزلت: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ما ينبئ عن انقطاع حكم هذه الآية وقصتها من قصة الآيات قبلها، فإنه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحتكمين إلى الطاغوت ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري إذ كانت الآية دالة على ذلك، وإذ كان ذلك غير مستحيل كان إلحاق معنى بعض ذلك ببعض أولى، ما دام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض فيعدل به عن معنى ما قبله" [2].

9- السياق يعين على تحديد أسلوب الكلام، فحيناً يخالف ظاهره المقصود به، فيأتي التعبير بالماضي والمقصود به المضارع، أو العكس، وحيناً يكون ظاهره الخبر والمقصود به الإنشاء، ونحو ذلك.

---

[1] هو: الزبير بن العوام الأسدي حواري رسول الله، وابن عمته صفية، وابن أخي خديجة، وأول من سل سيفاً في سبيل الله، استشهد يوم الجمل سنة ٣٦هـ، ينظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، أبو عبد الله محمد الذهبي، ج1، ص 402.

[2] جامع البيان، الطبري، ج5، ص 158- 160.

10- **السياق مهم في بيان المتشابه اللفظي في القرآن**، الذي يظهر الإعجاز البياني للقرآن، فقد ظهر الإعجاز البياني بجلاء في كتب المتشابه من القرآن؛ لأن المؤلفين لهذه الكتب يعمدون إلى السياق غالباً؛ للتعرف على سبب الاختلاف بين آية وأخرى.

المطلب الخامس: وجوه المناسبات في آيات (أظلم الناس) في القرآن الكريم:

أولًا: المناسبة في السورة الواحدة:

فالمناسبة في السورة الواحدة عبارة عن المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة أو بين آيات السورة الواحدة وذلك على النحو الآتي:

أولًا: المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة:

إن المتأمل لألفاظ القرن الكريم يجدها وضعت في موضعها من النظم الكريم، فهي مفردات مختارة منتقاة، واللفظ في موضعه مناسب من حيث اللفظة ومعناها، فجاءت اللفظة وجاء معناها على القدر الذي وضعت فيه، بحيث لو رفعت اللفظة من الآية أو استبدلت بغيرها لاختل نظام الآية وضاع المراد منها.

يقول ابن عطية: " وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد، نتبين البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب- يومئذ- في سلامة الذوق وجودة القريحة" [1].

والتناسب بين أجزاء الآية يكون من حيث اللفظ والمعنى.

أما من حيث اللفظ: ونعني به مناسبة اللفظة لألفاظ الآية، وذلك مثل قوله تعالى:

- ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الإنعام: 21].

فقد جاء العطف بالواو لأن سياق الآيات التي قبلها تتطلب العطف بالواو دون غيرها؛ لأنها جمل عطف صدور بعضها على بعض بالواو ولم تتعلق الثانية بالأولى تعلق ما هو من سببها فأجرى قوله: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾ **مجراها، وعطف بالواو عليها، ألا ترى قوله** ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** ﴾ [الأنعام: 19] وبعده ﴿**وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: 19] [2].

---

[1] المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص 52.

[2] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ج2، ص 498- 499، والبرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرماني، ص 106، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة، ص 158، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، الأنصاري، ج1، ص 161- 162.

- أما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 17]؛ فقد عطف بالفاء لأن ما قبلها عطف بعضها على بعض بالفاء يقول ﷻ: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 16]؛ فتعلق كل ما بعد الفاء بما قبله تعلق المسبب بسببه؛ لأن المعنى: لو أراد الله أن لا يوحي إلي هذا القرآن لما تلوته عليكم ولا عرفكم إياه في هذا الوقت الذي أخبرتكم أن الله بعثني به إليكم، وهذا يؤدي بكم إلى أن تعلموا أني طويت فيكم شيئًا مما تلوته الآن، فيؤديكم هذا إلى أن تعرفوا صحة ما أقول إنه من عند الله، لا من فعلي وقولي، فعطف بعض هذا الكلام على بعض بالفاء. وقوله بعده: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾، أي: إذا عرفتم أنه ليس من قولي لظهوره مني بعد ما لم يكن فيما مضى من عمري، فليس أحد أشد إضرارًا بنفسه منكم في قولكم على الله ما لم يقله، فهذا موضع الفاء [1].
- وكذلك الحال في قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 37].
- وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: 68] وحين نتأمل سياق الآيتين، ونطبق التعليل السابق، نجد مناسبة اختصاص كل آية بما اختصت به من العطف، فالعطف بالفاء في آية الأعراف أفاد تعلق ما بعدها بما قبلها؛ فقبل الآية قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 35– 36]، وآية العنكبوت ناسبها العطف بالواو؛ لأن ما قبلها وما بعدها جمل عطف بعضها على بعض ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: 66– 67]، وبعدها قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. ودلالة الفاء العاطفة على السببية أمر معلوم، فكما تدل على الترتيب، وعلى التعقيب، تدل على السببية يقول المالقي: " فإذا

[1] ينظر: المرجع السابق.

كانت – الفاء– للعطف، فمعناها الترتيب، والتعقيب، وقد يلازمهما التسبيب" [1]. ويقول ابن هشام: " الأمر الثالث: السببية، وذلك غالب في العاطفة جملة أو صفة" [2].

وأما من حيث المعنى:

فإن تناسب اللفظ مع المعنى في الآية متناسب تناسب اللفظة لأختها في الآية الواحدة ومن أمثلته:

- في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 21].
- وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 17]. يعلق الخطيب الإسكافي على هاتين الآيتين بقوله: "لما قال في الآية الأولى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وكان المعنى أنه لا أحد أظلم لنفسه ممن وصف الله تعالى بخلاف وصفه فأوردها العذاب الدائم، كان قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ﴾ عائدًا إلى من فعل هذا الفعل، أي: لا يظفر برحمه الله ولا يفوز بنجاة نفسه من كان ما ذكر من فعله، فبناء الآخر على الأول اقتضى أن يكون: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، وأما الآية الثانية في سورة يونس وتعقيبها بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ دون قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، وإن كان الوصفان لفريق واحد، فلأنه تقدمتها الآية التي تضمنت وصف هؤلاء القوم بما عاقبهم به فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: 13] فوصفهم بأنهم مجرمون عند تعليق الجزاء بهم.

وقال بعده: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 14] إلى الموضع الذي أبطل فيه حجتهم ودفع سؤالهم وهو: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس: 15] فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ليعلم أن هؤلاء سبيلهم في الضلال سبيل القوم الذين أخبر عن هلاكهم وقال: ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: 13]؛ ليوقع التسوية بينهم في الوصف كما أوقع التسوية بينهم في الوعيد" [3].

---

[1] رصف المباني، المالقي، ص 440.

[2] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ج1، ص 185.

[3] درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ج2، 501.

- وفي قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: 22] مناسبة حسنة، حيث قال هنا بـ (ثُمَّ)، وقال ﷻ في آية أخرى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57] وقال هنا بـ (بالفاء)، والفرق: أن المعنى في آية ﴿فَأَعْرَضَ﴾: أنه بادر وأسرع بالإعراض، وفي الثانية: بعدما فكر وقدر أعرض، والناس هكذا؛ منهم من يعرض لأول وهلة، ولا يلتفت ولا يفكر، ومنهم من قد يفكر، ولكن في النهاية يعرض' [1]فتكون (ثم) على بابها للتراخي الزمني؛ ليكون المعنى: أن من وقع له التذكير بها في وقت ما، فأخذ يتأمل فيها، ثم أعرض عنها بعد ذلك ولو بألف عام؛ فهو أظلم الظالمين، ويدخل فيه ما دون ذلك من باب الأولى؛ لأنه أجدر بعدم النسيان؛ فهي أبلغ هنا من التعبير بالفاء –كما في سورة (الكهف)– ويكون عدل إلى الفاء هناك؛ شرحا لما يكون من حالهم عند بيان سؤالهم، الذي جعلوا بيانه آية الصدق، والعجز عنه آية الكذب. وقيل: لما بلغت هذه الآيات من الوضوح أقصى الغايات؛ فكان الإعراض عنها مستبعدًا بعده؛ عبر عنه بأداة البعد لذلك (ثم)، فقال: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾، وذلك ضد ما عمله الذين لم يتمالكوا أن خروا سجدًا؛ فالتعبير بأداة التراخي استبعاد وتعجب من حالهم، قال الزمخشري: "ثم للاستبعاد، والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل، والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل" [2].

وفي قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾: مناسبة حسنة، حيث عبر في الآية بقوله: ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ بدلا من أن يقال: (إنا منه منتقمون)، أي: من المجرم؛ لأنه لما جعله أظلم من كل ظالم، ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم؛ فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام، ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة. وقيل: عدل عن ذكر ضمير المجرمين، فلم يقل: (إنا منهم منتقمون)؛ لزيادة تسجيل فظاعة حالهم بأنهم مجرمون مع أنهم ظالمون، وقد يقال: إن (المجرمين) أعم من (الظالمين)؛ فيكون دخولهم في الانتقام من المجرمين أخرويًا، وتصير جملة إنا من المجرمين منتقمون تذييلا [3]. فقوله: ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ دون أن يقال: (إنا منهم منتقمون)، أفاد أن هذا مجرم،

---

[1] ينظر: تفسير ابن عثيمين – سورة السجدة، ص 104.

[2] الكشاف، الزمخشري، ج3، ص 515

[3] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج3، ص 515، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21، ص 234.

وأن الحكم يعمه وغيره من المجرمين [1]. وعبر بصيغة العظمة في قوله: ﴿ **إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**﴾؛ تنبيها على أن الذي يحصل لهم من العذاب: لا يدخل تحت الوصف على مجرد العداد في الظالمين، فكيف وقد كانوا أظلم الظالمين؟! [2].

وفي بيان أثر تناسب اللفظ مع المعنى، يبين صاحب ملاك التأويل الأثر المترتب على تعريف الكذب وتنكيره في الآيات الآتية [3]:

- قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الأنعام: 21].
- وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ** ﴾ [الأنعام: 93].
- وقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ [الأعراف: 37].
- وقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ [يونس: 17].
- وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ**﴾ [العنكبوت: 68].
- قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الصف: 7].

"وفى هذه الآيات سؤالان: أحدهما وجه ورود الآيات في هذه المواضع بهذا النص من قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ وتعقيب كل آية منها بما اتصل بها، والسؤال الثاني: تعريف الكذب في سورة الصف وتنكيره فيما عداها.

والجواب عن الأول: أن الأولى تقدمها قوله: ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الأنعام: 5]" ثم قال تعالى بعد: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ**

---

[1] تفسير ابن عثيمين_ سورة السجدة، ص 107.

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج15، ص 263.

[3] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، الغرناطي، ج1، ص 149، ودرة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص 269- 270.

فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: 7] فحصل من هذا افتراؤهم وفى قولهم: إنه سحر، وتكذيبهم قال تعالى: ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ** ﴾، وجعلهم مع الله آلهة سواه فجمعوا بين الشرك والتكذيب فناسب هذا ورود قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ على طريقة التعجب من مرتكبهم وسوء حالهم أي: من أظلم يا محمد من هؤلاء الجامعين بين الافتراء والشرك والتكذيب مع وضوح الشواهد وكثرة الدلائل الواردة أثناء هذه الآي مما لا يتوقف فيه معتبر فقد وضح تناسب هذا كله وحق لمرتكبه الوصف بالظلم الذى لا يفلح المتصف به وهو ظلم الافتراء على الله والشرك والتكذيب" [1].

وأما الآية الثانية من سورة الأنعام فإن قبلها ذكر الرسل عليهم السلام وتعقيب ذكرهم بقوله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: 90] ثم قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: 91] فأعظم تعالى مرتكبهم في هذا وفى تعاميهم عن التوراة وما تضمنته من الهدى والنور ثم أعقب ذلك بقوله تنزيها للرسل عليهم السلام عن الافتراء على الله سبحانه وادعاء الوحى فصار الكلام بجملته في قوة أن لو قيل: ألا ترون ما تضمن كتاب موسى من الهدى والنور والبراهين الواضحة وهل يكون أحد أعظم افتراء من هذا ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ** ﴾ [الأنعام: 93] فهذا أوضح شيء، ولما لم يتقدم في الآية الأولى ذكر الأنبياء والوحي إليهم كما في هذه لم يناسبها ما ورد هنا فجاء كل على ما يجب ويناسب والله أعلم.

وأما آية الأعراف فتقدمها وعيد من كذب بآيات الرسل واستكبر عنها وأنهم أهل الخلود في النار فناسب هذا قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ**﴾ [الأعراف: 37] [2].

وأما آية يونس فتقدم قبلها قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [يونس: 15-16] ولا أظلم ممن قال من فصحاء العرب العالمين بمقاطع الكلام وجليل النظم وعلم البلاغة: ﴿ **ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ** ﴾ مع علمهم

---

[1] -ملاك التأويل: الغرناطي، ج1، ص 149. ودرة التنزيل وغرة التأويل، الاسكافي، ج1، ص270- 271.

[2] ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص 149. ودرة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص270- 271.

بعلي فصاحته واعترافهم بالعجز عنه فجمعوا بين إنكار ما علموا صدقه ممن عرفوا على حاله وجليل منصبه فإخباره تعالى عنهم بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ **[الأنعام: 33] فجمعوا بين الإنكار وبين قولهم** ﴿ **أَوْ بَدِّلْهُ** ﴾ فلا أظلم من هؤلاء ثم في إنكارهم وقولهم ﴿ **أَوْ بَدِّلْهُ** ﴾ أعظم إقدام وأوضح إجرام لأنه كفر على علم فلهذا أعقبت الآية هنا بقوله: ﴿ **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ [يونس: 17] ولم يقع قبل التي في سورة الأنعام وقبل آية الأعراف مثل هذا الإقدام على مثل هذه الجريمة في القول وإنما تقدم عداوتهم وظلمهم أنفسهم في مرتكباتهم وتعاميهم فناسبه قوله: ﴿ **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الأنعام: 21]

وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ**﴾ [العنكبوت: 68]

وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الصف: 7] فجوابهما بين مما تقدم.

وجواب ثان: وهو أنه قد تقدم مما به الاعتبار في الأولى من آيتي الأنعام وآية يونس ما فيه كفاء وإن تنوع فقد جمعه جامع الاعتبار وفى كل شفاء لمن وفق للاعتبار به. [1]

فمن عدل عنه فظالم إلا أن الاجترام يبنى على أشد من الظلم وإن كان قد أجرى مع الظلم عدم الفلاح إلا أن الجرم أنبأ بالشدة وأخص بالإشعار بشناعة المرتكب وتقدم أن ترتيب السور والآي مراعى وعظيم الموقع وأنه لا يعارضه ترتيب النزول فإذا تقرر هذا فنقول: قدم وصفهم بالظلم ثم تكرر ذلك ممن افترى أو كذب وقد وصف أولا بالظلم فوصف ثانيًا بالاجترام ترقيًا في الشر كما يترقى في الخير وأيضًا ليناسب ما وقع في يونس متقدمًا من قوله: ﴿ **وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [يونس: 13].

والجواب عن السؤال الثاني أن آية الصف قد انفردت عن كل ما تقدم من هذه الآي بذكر تعيين المفترى فيه الكذب منطوقا به من غير الإجمال الوارد في الآي الأخر بل ورد على التفصيل والتعيين وذلك بين من قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ [الصف: 6] **ثم قال:** ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ أي: فلما جاءهم الرسول الذى سماه لهم عيسى بالبينات والدلائل القاطعة والتصديق لما بين يديه من التوراة قالوا هذا سحر مبين

[1] ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ص 150. درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ج1، ص270- 271.

فافتروا الكذب وارتكبوا البهت فيما لا توقف فيه ولا إشكال فقيل متعجبًا من حالهم على الجاري في لسان العرب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ معرفا بأداة العهد ليقوم مقام الوصف حتى كأن قد قيل هذا الكذب الذى لا امتراء فيه ولا توقف ولما لم يرد في الآي الأخر ما تقدم هنا كان الوجه أن يرد منكرا كما ثبت فورد على ما يناسب ويجب والله أعلم [1].

ثانيًا: المناسبة بين آيات السورة الواحدة:

من وجوه المناسبات بين آيات السورة الواحدة المناسبة بين الآية والتي قبلها ويظهر الارتباط جليًا بين الآية الثانية والأولى فيما يلي:

1- أن تكون الثانية سببًا للأولى:

- كقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ* أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ *تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 139- 141].

هذه الآية احتجاج من الله ﷻ لنبيه؛ فكأنه ﷻ يقول لنبيه ﷺ قل لهم: لا تجادلوننا في دين الله بغير حق، ولا تقولوا إن الأنبياء كانوا على دينكم، فإن مجادلتكم وأقوالكم من قبيل المزاعم الباطلة التي لا سند لها من عقل أو نقل.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾: معناه قل لهم يا محمد إن زعموا أن الأنبياء المذكورين في الآية كانوا هودا أو نصارى: إن ما زعمتموه مِن أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب كانوا هودًا أو نصارى هو على خلاف ما يعلمه الله، لأنه- سبحانه- قد أخبرنا بأنهم كانوا مسلمين مبرئين عن اليهودية والنصرانية، وأن يعقوب- عليه السلام- عند ما حضرته الوفاة أوصى بنيه بأن يموتوا على الإسلام، وأن التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد أولئك الأنبياء جميعًا، هكذا أخبرنا الله.

فهل أنتم أعلم بديانتهم أم الله ولا شك أنهم لن يستطيعوا أن يقولوا نحن أعلم، وإنما سيقولون الله أعلم، فإذا لزمهم هذا القول: قلنا لهم إذا فدعواكم لا أساس لها من الصحة وبذلك تكون الجملة الكريمة قد قطعت حجتهم بأجمع بيان وأحكمه.

---

[1] ينظر: ملاك التأويل، الغرناطي، ج1، ص 151.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ معناه لا أحد أشد ظلما ممن يكتم شهادة ثبتت عنده عن الله، تخبر بأن هؤلاء الأنبياء كانوا على الإسلام ولم يكونوا هودا أو نصارى[1].

يقول سيد قطب معلقًا على هذه الآية: "﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ وهم كانوا أسبق من موسى، وأسبق من اليهودية والنصرانية، والله يشهد بحقيقة دينهم – وهو الإسلام، وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ هو سؤال لا جواب عليه! وفيه من الاستنكار ما يقطع الألسنة دون الجواب عليه!

ثم إنكم لتعلمون أنهم كانوا قبل اليهودية والنصرانية. وكانوا على الحنيفية الأولى التي لا تشرك بالله شيئًا. ولديكم كذلك شهادة في كتبكم أن سيبعث نبي في آخر الزمان دينه الحنيفية، دين إبراهيم. ولكنكم تكتمون هذه الشهادة: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ والله مطلع على ما تخفون من الشهادة التي ائتمنتم عليها، وما تقومون به من الجدال فيها لتعميتها وتلبيسها: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾" [2].

- وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 20-22]، لَمَّا بَيَّنَ خُسرانَ المُنكِرينَ في الآيةِ الأُولى؛ بَيَّن في هذِه الآيةِ الكريمةِ سَببَ ذلك الخُسرانِ، وهو أمران؛ أحدُهما: الافتراءُ على اللهِ كَذِبًا، الأمْرُ الثَّاني من أسبابِ خَسارتِهم: تَكذيبُهم بآياتِ اللهِ تعالى، وقَدْحُهم في مُعجزاتِ محمَّد ﷺ، وإنكارُهم كونَ القرآنِ العظيمِ مُعجزةً قاهرةً منه" [3]. فقال تعالى: ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾؛ أي: لا أحدَ أشدُّ ظُلْمًا ممَّن تقوَّلَ على اللهِ تعالى، كمَن زعَمَ أنَّ له شَريكًا، أو كذَّبَ بآيات الله، وبحججه وبراهينه ودلالاته، ومِن ذلك ما أعطاهُ لرُسلِه من الأدلَّةِ على صِدْقِهم [4].وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾؛ أي: إنَّ كلَّ ظالمٍ لا يُفلحُ أبدًا، ومنهم القائِلون على اللهِ تعالى الباطِلَ، والمكذِّبون بآياتِه عزَّ وجلَّ.

---

[1] ينظر: الوسيط: طنطاوي، ج1، ص 289.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج1، ص 119.

[3] اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج8، ص 70.،

[4] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج11، ص 296، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 220.

وفي قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 22] تتضح مناسبة هذه الآية لما قبلها لَمَّا كان معنى قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أنَّهم أكذبُ الناسِ، دلَّ عليه بكَذِبِهم يومَ الحشرِ بعدَ انكشافِ الغطاءِ [1]. فقال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾؛ أي: ويومَ يَجمعُ اللهُ تعالى جميعَ المشرِكين، والمفترين على اللهِ كَذِبًا، والمكذِّبين بآياتِه، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: ثمَّ نقولُ للمُشرِكين- تَوبيخًا وتقريعًا لهم- إذا جمعْناهم: أينَ شُركاؤُكم الذين كنتُم تدَّعون أنَّهم آلهةٌ مع اللهِ سبحانه "[2].

- وفي قوله ﷻ: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: 15] لما وَحَّد هؤلاء الفِتيةُ اللهَ تعالى، ورَفَضوا ما دُونَه مِن الآلهةِ، وذكَروا ما مَنَّ اللهُ به عليهم مِن الإيمانِ والهُدى؛ التَفَتوا إلى ما كان عليه قَومُهم مِن اتِّخاذِ الآلِهةِ مِن دونِ اللهِ، وأخَذُوا في ذَمِّهم وسُوءِ فِعلِهم، وأنَّهم لا حُجَّةَ لهم في عبادةِ غيرِ الله، ثمَّ عَظَّموا جُرْمَ مَن افترَى على اللهِ كَذِبًا [3]؛ فقالوا: ﴿ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾؛ أي: فهلَّا يأتي قَومُنا بحُجَّةٍ واضِحةٍ تدُلُّ على صَوابِ عِبادةِ تلك الآلهةِ التي يَتَّخِذونَها [4]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ومُناسَبة هذهِ لما قَبلَها: أنَّه تسَبَّبَ عن عَجزِهم عن دَليلٍ أنَّهم أظلَمُ الظَّالِمينَ؛ لافتِعالِهم الكَذِبَ عن مَلِكِ المُلوكِ ومالِكِ المُلكِ؛ فلذلك قالوا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [5]؛ أي: " أنَّ هؤلاء افتَرَوا على اللهِ كَذِبًا، وذلك أنَّهم أشركوا معه غيرَه في الإلهيَّةِ؛ فقد كَذَبوا عليه في ذلك؛ إذ أثبتوا له صِفةً مُخالِفةً للواقِعِ" [6].

2- أن تكون الثانية تفسيرًا للأولى:

أ- كقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ *وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 114- 115]،

---

[1] نظم الدرر، البقاعي، ج7، ص 80.

[2] جامع البيان، الطبري، ج11، ص 297.

[3] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج7، ص 149، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 472.

[4] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج5، ص 128، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 472.

[5] نظم الدرر، البقاعي، ج12، ص 23.

[6] جامع البيان، الطبري، ج 17، ص 617.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه جرى ذكر النصارى في قوله: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ**﴾ [البقرة: 113]، وجرى ذكر المشركين في قوله: ﴿ **كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**﴾ [البقرة: 113]، وفي أي نزلت منهم كان ذلك مناسبًا لذكرها تلي ما قبلها [1].

يرى بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن الرومانيين الذين غزوا بيت المقدس وخربوه. ويرى آخرون أنها نزلت في كفار قريش حين منعوا رسول الله ﷺ أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية. وكيفما كان سبب النزول، فالآية تشمل بذمها ووعيدها، كل من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها [2].

قال القرطبي: "وخراب المساجد قد يكون حقيقيًا، كتخريب بختنصر والرومان لبيت المقدس حيث قذفوا فيه القاذورات وهدموه. ويكون مجازا كمنع المشركين حين صدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام، وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة وإظهار شعائر الإسلام فيها خراب له"[3].

وقد رجح الطبري القول الذي يقول: إن النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس، بدليل أن مشركي العرب لم يسعوا في خراب البيت الحرام، إذ كانوا يعظمونه ويتعبدون به، لكنهم منعوا المسلمين من أداء عبادتهم فيه. وعلى هذا القول، فإنه يظهر وجه المناسبة بين هذه الآية، والآيات التي قبلها [4].

وبيان ذلك؛ أن الآيات السابقة وردت في سياق كشف دسائس أهل الكتاب وكيدهم للإسلام والمسلمين، فقبل هذه الآية نطالع موقف أهل الكتاب من دعوة الإسلام، إذ أخبر ﷻعن موقفهم بقوله: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: 109] ونقرأ أيضًا قولهم: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: 111] فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: 112]، فبيَّن القرآن أن العبرة

---

(1) البحر المحيط، أبو حيان، ج1، ص 571.

(2) الوسيط، طنطاوي، ج1، ص 53.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،ج2، ص 77.

(4) –ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج2، ص 522.

بالإخلاص والعمل، وليس بالأقوال والمسميات. ثم جاء ادعاء كل فريق منهم أنه على الحق، وأن غيره ليس على شيء ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: 113]، وجاء الرد القرآني مبينًا أن الحكم في هذا مرده إلى الله، إذ هو وحده سبحانه من يفصل بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

ورجح ابن عاشور قول من قال: إن الآية نزلت في مشركي العرب، وبنى على هذا الاختيار وجه مناسبة الآية، فقال: "فالمناسبة أنه بعد أن وفَّى أهل الكتاب حقهم من فضح نواياهم في دين الإسلام وأهله، وبيان أن تلك خصلة متأصلة فيهم مع كل من جاءهم بما يخالف هواهم، وكان قد أشار قبلُ إلى أن المشركين شابهوهم في ذلك، قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 105] عطف الكلام إلى بيان ما تفرع عن عدم وِدادة المشركين نزول القرآن، فبيَّن أن ظلمهم في ذلك لم يبلغه أحد ممن قبلهم، إذ منعوا مساجد الله، وسدوا طريق الهدى، وحالوا بين الناس وبين زيارة المسجد الحرام، الذي هو فخرهم وسبب مكانتهم، وليس هذا شأن طالب صلاح الخلق، بل هذا شأن الحاسد المغتاظ" [1].

على أنه لا يبعد هنا أن يكون وجه المناسبة مسألة تحويل القبلة، وهذا الذي مال إليه سيد قطب رحمه الله، إذ إن أهل الكتاب – واليهود منهم خاصة – سعوا لصد المسلمين عن التوجه إلى القبلة، أول بيت وُضع للناس. ويرشح هذه المناسبة الآيتان التاليتان لهذه الآية، وهما قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ البقرة: 115–116]. فهاتان الآيتان توحيان بأنهما جاءتا ردًا على تضليل اليهود في ادعائهم أن صلاة المسلمين إلى بيت المقدس كانت باطلة، وضائعة، ولا حساب لها عند الله، والآية ترد عليهم زعمهم وادعاءهم، وتقرر أن كل اتجاه قبلة، فثَمَّ وجه الله حيثما توجه إليه عابد، وإنما تخصيص قبلة معينة هو توجيه من عند الله فيه طاعة [2].

وكأن الآية تومئ إلى أن سعى أولئك الظالمين في منع المساجد من ذكره– تعالى– وتخريبها، لا يمنع من أداء العبادة لله تعالى؛ لأن له المشرق والمغرب وما بينهما، فأينما حل الإنسان وتحرى القبلة المأمور بالتوجه إليها فهناك جهة الله المطلوب منه استقبالها.

---

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1، ص 679.

[2] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج1، ص 99– 100.

وذيلت الآية بقوله إن الله واسع عليم لإفادة سعة ملكه أو سعة تيسيره على عباده في أمر الدين؛ أي: إن الله يسع خلقه جميعًا برحمته وتيسيره وجوده وهو عليم بأعمالهم لا يخفى عليه عمل عامل أينما كان وكيفما كان [1].

ومن أوجه مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه جرى ذكر النصارى، في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ**﴾ [البقرة: 113] وجرى ذكر المشركين في الآية نفسها، في قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**﴾ [البقرة: 113] وعليه، فسواء قلنا: إن الآية نزلت في حق النصارى، الذين سعوا في خراب المسجد الأقصى الذي باركه الله؛ أم قلنا: إن الآية نزلت في حق المشركين الذين منعوا المسلمين من المسجد الحرام، نقول: إن كان سبب النزول هذا أو ذاك فإن وجه المناسبة بين هذه الآية، والآية التي قبلها ظاهر كما لا يخفى.

ب- وفي قوله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ [الكهف: 57] ومناسبة الآية لما قبلها أنه لَمَّا بيَّنَ اللهُ تعالى حالَ المُشرِكينَ مِن مُجادَلةِ الرُّسُلِ، ومِن استهزائِهم بالإنذارِ، وعرَّضَ بحَماقتِهم؛ أتبَعَ ذلك بأنَّه أشَدُّ الظُّلم [2].

وقوله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾؛ أي: ولا أحدَ أظلمُ لِنَفسِه ممَّن ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّه التي تدله على طريق الحق والنجاة من الهلاك، فأعرض عنها، فلم يتدبرها، ولم يتعظ ويتذكر بها، ونسي ما عمل من السيئات من الكفر والمعاصي، فلم يتفكر في عاقبتها، ولم يتب إلى الله منها [3].وقوله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾، قال القاسمي: "والجملة تعليل لإعراضهم ونسيانهم، بأنهم مطبوع على قلوبهم؛ وذلك لإيثارهم الضلال على الهدى" [4]. وقد دلت آيات كثيرة على أن الأكنة والطبع والختم ونحو ذلك سببه الأول الإعراض عن آيات الله، والكفر بها [5]. وقال ابن القيم: "وهذه الأكنة والوقر: هي شدة البغض والنفرة والإعراض، التي لا يستطيعون معها سمعًا ولا عقلًا، والتحقيق أن هذا ناشئ عن

---

[1] الوسيط، طنطاوي، ج1، ص 255.

[2] مفاتيح الغيب، الرازي، ج21، ص 476، التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج15، ص 354.

[3]ينظر: نظم الدرر في ترتيب الآيات والسور، البقاعي، ج12،ص 90.

[4] محاسن التأويل، القاسمي، ج7، ص 75.

[5]ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ج3، ص 311، وتفسير السعدي، ص 481.

الأكنة والوقر فهو موجب ذلك ومقتضاه، فمن فسر الأكنة والوقر به، فقد فسرهما بموجبهما ومقتضاهما. وبكل حال فتلك النفرة والإعراض والبغض: من أفعالهم، وهي مجعولة لله سبحانه، كما أن الرأفة والرحمة وميل الأفئدة إلى بيته: هو من أفعالهم، والله جاعله، فهو الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها، وإراداتها واعتقاداتها، فذلك كله مجعول مخلوق له، وإن كان العبد فاعلًا له باختياره وإرادته" [1].

وقوله: ﴿**وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾؛ أي: وجعلنا في آذان المعرضين عن آيات الله ثقلًا؛ لئلا يسمعوا آياته سماع فهم وانتفاع بها. [2] وقوله سبحانه: ﴿**وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ قال السعدي: " لأن الذي يرجى أن يجيب الداعي للهدى من ليس عالمًا، وأما هؤلاء الذين أبصروا ثم عموا، ورأوا طريق الحق فتركوه، وطريق الضلال فسلكوه، وعاقبهم الله بإقفال القلوب والطبع عليها: فليس في هدايتهم حيلة ولا طريق [3]." وقال الشنقيطي: "هذه الآية وأمثالها في القرآن فيها وجهان معروفان عند العلماء: أحدهما: أنها في الذين سبق لهم في علم الله أنهم أشقياء، عياذًا بالله تعالى. والثاني: أن المراد أنهم كذلك ما داموا متلبسين بالكفر، فإن هداهم الله إلى الإيمان وأنابوا زال ذلك المانع. والأول أظهر، والعلم عند الله تعالى" [4].

ج- وفي قوله ﷻ: ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى**﴾ [النجم: 52] جاءت الآية تعليلًا لما قبلها؛ فقوله: ﴿**وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ**﴾: أيْ مِن قَبْلِ عادٍ وثَمُودَ، وكانُوا أوَّلَ أُمَّةٍ كَذَّبَتْ مِن أهْلِ الأرْضِ، ونُوحٌ عليه السلام أوَّلُ الرُّسُلِ. والظّاهِرُ أنَّ الضَّمِيرَ في (إنَّهم) عائِدٌ عَلى قَوْمِ نُوحٍ، وجَعَلَهم ﴿ **أظْلَمَ وأطْغى**﴾ لِأنَّهم كانُوا في غايَةِ العُتُوِّ والإيذاءِ لِنُوحٍ عليه السلام، يَضْرِبُونَهُ حَتّى لا يَكادُ يَتَحَرَّكُ، ولا يَتَأثَّرُونَ لِشَيْءٍ مِمّا يَدْعُوهم إلَيْهِ. وقالَ قَتادَةُ: دَعاهم ألْفَ سَنَةٍ إلّا خَمْسِينَ عامًا، كُلَّما هَلَكَ قَرْنٌ نَشَأ قَرْنٌ، حَتّى كانَ الرَّجُلُ يَأْخُذُ بِيَدِ ابْنِهِ يَتَمَشّى بِهِ إلَيْهِ، يُحَذِّرُهُ مِنهُ ويَقُولُ: يا بُنَيَّ إنَّ أبِي مَشى بِي إلى هَذا ولَنا مِثْلُكَ يَوْمَئِذٍ، فَإيّاكَ أنْ تُصَدِّقَهُ، فَيَمُوتُ الكَبِيرُ عَلى الكُفْرِ، ويَنْشَأُ الصَّغِيرُ عَلى وصِيَّةِ أبِيهِ. وقِيلَ: الضَّمِيرُ في إنَّهم عائِدٌ عَلى مَن تَقَدَّمَ عادٍ وثَمُودَ وقَوْمِ نُوحٍ، أيْ كانُوا أكْفَرَ مِن قُرَيْشٍ وأطْغى، فَفي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم [5].

---

[1] شفاء العليل، ابن قيم الجوزية، ص 56.

[2] ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ج3، ص 311، ونظم الدرر في ترتيب الآيات والسور، البقاعي، ج12، ص 91.

[3] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 480.

[4] أضواء البيان، الشنقيطي، ج3، ص 313.

[5] البحر المحيط، أبو حيان، ج10، ص 27.

3- الانتقال من حديث إلى حديث توجيهًا لذهن السامع:

وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: 68] افتتح تشخيص حالهم بالاستفهام عن وجود فريق هم أظلم من هؤلاء الذين افتروا على الله، وكذبوا بالحق؛ توجيها لأذهان السامعين نحو البحث هل يجدون أظلم منهم؟ حتى إذا أجادوا التأمل، واستقروا مظان الظلمة، واستعرضوا أصنافهم؛ تيقنوا أن ليس ثمة ظلم أشد من ظلم هؤلاء .

ومناسبة الآية لما قبلها أنه لمّا أوفى الله تعالى المشركين ما يستأهلونه من تشنيع أحوالهم، وسوء انتظام شؤونهم، جاء في عقبه بتذييل [1] يجمعها في أنها افتراء على الله، وتكذيب بالحق، ثم جزاهم الجزاء الأوفى اللائق بحالهم؛ وهو أن النار مثواهم [2]. والاستفهام في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ يفيد النفي؛ أي: لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذبا، فادعى عليه ما لم يقله وما لا يرضاه؛ كمن زعم أن له شريكا، أو كذب بمحمد وبالقرآن حين جاءه، من غير أن يمهل نفسه للنظر والتأمل، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: أليس في جهنم مأوى ومقام دائم للكافرين [3]. والاستفهام للتقرير، قال صاحب الكشاف: "(أليس) تقرير لثوائهم في جهنم... وحقيقته: أن الهمزة همزة إنكار دخلت على النفي، فرجع إلى معنى التقرير [4]."

4- أن تكون الآية الثانية معطوفة على ما قبلها فتشاركها الحكم، ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة إذ لا بد منها عند العطف.

---

[1] التذييل: هو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتوكيد، وذكر أبو هلال العسكري أثر التذييل في الكلام وموقعه منه فقال: "وللتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى يزداد به انشراحًا والمقصد اتضاحًا. والتذييل هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لا يفهمه، ويتوكد عند من فهمه... وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة، لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عنه الذهن اللقن، وصح للكليل البليد" الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص373، وينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق ج1، ص 197.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21، ص 34.

[3] ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 636، تفسير سورة العنكبوت، ابن عثيمين، ص 411- 412، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج14، ص 481.

[4] الكشاف، الزمخشري، ج3، ص 469.

كقوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 20- 21] ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنها عطف على جملة ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: 20]. فالمراد بهم المشركون، والمراد بافترائهم عقيدة الشرك في الجاهلية بما فيها من تكاذيب، وبتكذيبهم الآيات وتكذيبهم القرآن بعد البعثة، وقد جعل الآتي بواحدة من هاتين الخصلتين أظلم الناس فكيف بمن جمعوا بينهما.

وجملة: إنه لا يفلح الظالمون تذييل، فلذلك فصلت، أي إذا تحقق أنهم لا أظلم منهم فهم غير مفلحين، لأنه لا يفلح الظالمون فكيف بمن بلغ ظلمه النهاية، فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول. [1]

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج7، ص 172.

الفصل الثالث
أصناف أظلم الناس في القرآن الكريم

المبحث الأول

المانعون عمارة مساجد الله وعقوبتهم

المطلب الأول: معنى منع المساجد

أولًا: المنع لغة:

المنع هو: أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده، وهو خلاف الإعطاء، وقيل هو تحجير الشيء يقال: منعه يمنعه منعًا، ومنعه فامتنع منه وتمنع، ورجل منوع ومانع ومناع ضنين ممسك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: 21]، وقوله تعالى: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾ [ق: 25]، ورجل مَنِيعٌ: لا يُخْلَصُ إليه في قوم مُنَعاءَ، والاسم: المنَعَةُ والمنْعَةُ والمِنْعةُ، ورجل مَنُوعٌ يَمْنَع غيره، ورجل مَنِعٌ يمنع نفسه، والمَنِيعُ أيضَا الممتنِعُ والمَنُوع الذي منع غيره [1].

ثانيًا: المنع اصطلاحًا:

"وصف ظاهر منضبط، يلزم من وجوده عدم السبب أو الحكم" [2].

" فالمانع معنى معلوم محدد يمنع وجود الحكم، أو يمنع تحقق السبب، وذلك أنه إذا وجد السبب الشرعي، تحقق شرطه، فلا يترتب المسبب عليه إلا إذا وجد السبب الشرعي، وتحقق شرطه، فلا يترتب المسبب عليه إلا إذا انتفى المانع، لأن المانع يمنع ترتب الحكم على السبب" [3]. وحقيقته أنه يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم [4].

ثالثًا: المسجد لغة: " من باب المَفْعَل، بفتح العين، اسم مكانٍ، أو مصدر، مثل دَخَلَ مَدْخَلًا، وهذا مَدْخَلُهُ، إلا أحرفًا من الأسماء، كمَسجِد ومَطلِع، ومَشرِق، ومَفرِق...فإنهم ألزموها كسر العين وجعلوا الكسر علامة الاسم" [5].

يقول الزركشي: " ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة، لقرب العبد من ربه، اشتق منه اسم المكان للموضع الذي بني للصلاة فيه، فقيل: مسجد، ولم يقولوا: مركع " [6].

---

[1] ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج22، ص 218.

[2] إرشاد الفحول، الشوكاني، ص7.

[3] ينظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، ج1، ص 415.

[4] ينظر: شرح الكوكب المنير، ابن النجار الحنبلي، ج1، ص 456.

[5] تاج العروس من جواهر القاموس، الحسيني، ج8، ص 174.

[6] إعلام الساجد بأحكام المساجد، الزركشي، ج1، ص 26.

وقيل: موضع الصلاة باعتبار السجود، وهو أخفض محط القائم، بمعنى انحنى وتَذَلَلَ، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله ﷻ وعبادته، وهو سجود باختيار الإنسان يستحق عليه الثواب، قال تعالى: ﴿**فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا**﴾ [النجم: 62]، وهو عام للإنسان والحيوان والنبات، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**﴾ [النحل: 48]، وخص السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة، وهو اسم جامع حيث يسجد عليه [1].

وقيل: " المسجد، مأخوذ من الفعل سَجَدَ: بمعنى؛ طأطأ رأسه وانحنى، وسجد إذا وضع جبهته بالأرض، والمساجد أيضًا: الآراب التي يسجد عليها. ويقال: سجد سجدة، وما أحسن سجدته، أي هيئة سجود.

رابعًا: المسجد اصطلاحًا:

لم تختلف عبارات العلماء كثيرًا في تعريف المسجد تعريفًا اصطلاحيًا، وجميع التعريفات التي ذكرتها بنفس المعنى مع زيادات شارحة في بعضها.

فقيل: " المسجد اسم مكان يصلي الناس فيه كجماعات، أو البيت الذي يُسْجَد ويُتعبد فيه للصلاة، فكل موضع يُتعبد فيه فهو مسجد" [2].

وقيل: هو موضع السجود من بدن الإنسان الذي يسجد عليه كالجبهة والأنف واليدين والركبتين، والرجلين ونحو ذلك فلا تعبدوا بما لله ﷻ من مواضع السجود غير الله ﷻ [3]، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: 18]، وقال ﷺ: (**أُمِرْتُ أنْ أسْجُدَ علَى سَبْعَةِ أعْظُمٍ علَى الجَبْهَةِ، وأَشَارَ بيَدِهِ علَى أنْفِهِ واليَدَيْنِ والرُّكْبَتَيْنِ، وأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ ولَا نَكْفِتَ الثِّيَابَ والشَّعَرَ**)[4].

---

[1] المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ج1، ص 397.

[2] ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ج10، ص 301.

(3) نزهة الأعين النواظر في في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي، ج1، ص 567.

[4] صحيح مسلم، باب الصلاة/ أعضاء السجود، والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة، ج1، ص 354، رقم 490.

وعن جابر بن عبد الله [1] عن الرسول ﷺ قال: (**... وجعلتِ الأرضُ كلُّها لي ولأمتي مسجدًا وطهورًا**) [2].

ومن التعريفات السابقة؛ يمكن للباحثة أن تعرف المسجد اصطلاحًا: بأنه المكان الطاهر الذي يسجد فيه طوعًا على مواضع مخصوصة من جسم الإنسان، ويُتخذ للصلاة والعبادة.

المطلب الثاني: آية منع عمارة مساجد الله وتفسيرها:

أولًا: تفسير الآية:

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة: 114].

أولًا: يبين الله جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة عِظَم إثم من منع المساجد من ذكر الله، فيقول: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾، أي: لا أحد أظلم وأشد جُرمًا في باب المنع ممن منع مساجد الله، عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة وغيرها من الطاعات [3].

قال الطبري: " وأيُّ امرئ أشد تعديًا وجراءةً على الله وخلافًا لأمره من امرئ منع مساجد الله أن يعبد الله فيها؟" [4]، وهذا الوعيد الشديد عام في حق كل من منع مسجدًا من ذكر الله إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿ **أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾ أي: منع من ذكر اسم الله ﷻ فيها، وهذا يشمل ذكر الله مطلقًا فيدخل فيه قراءة القرآن وسائر أنواع العبادات القولية والفعلية.

قوله: ﴿ **وَسَعَى فِي خَرَابِهَا**﴾ ؛ أي: عمل على تخريبها سواء كان تخريبًا حسيًا بهدمها وإزالتها، وتدميرها، أو كان معنويًا، وهو منعها من ذكر الله، أو كلاهما؛ والآية تشمل الجميع، وأما إذا كان المنع لمصلحة راجحة، فيجوز ذلك بل قد يكون مطلوبًا، يقول ابن عثيمين في ذكر الفوائد

---

[1] جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي، الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ وأبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن الأنصاري، الخزرجي، المدني، الفقيه. من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتًا. روى: علمًا كثيرًا عن النبي ﷺ وعن: عمر، وعلي، وأبي بكر، مات سنة ثمان وسبعين، وهو ابن أربع وتسعين سنة، وكان قد ذهب بصره. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج3، ص189.

[2] صحيح البخاري، باب الصلاة / قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، ص 59، رقم 438.

[3] البحر المحيط، أبو حيان، ج1، ص 524.

[4] جامع البيان، الطبري، ج2، ص 441.

المستنبطة من الآية: " جواز منع دخول المساجد لمصلحة؛ لقوله تعالى: ﴿ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾؛ ومنع مساجد الله له أسباب: فتارة تُمنع المساجد من أن تمتهن فرشها، أو أرضها، أو كتبها، أو مصاحفها؛ فتغلق الأبواب حماية لها؛ وتارة تغلق أبوابها خوفًا من الفتنة، كما لو اجتمع فيها قوم لإثارة الفتن، والتشويش؛ وتارة تغلق خوفًا من سرقة ما فيها؛ ففي كل هذه الصور إغلاقها مباح، أو مطلوب" [1].

وقوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ هذا خبرٌ من الله يتضمن الأمر لأهل الإسلام بمنع الكفار من دخول المساجد، وأتى باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰئِكَ﴾ الدال على البعيد لبيان بُعد مكانتهم في الشر التي بلغوها، والجزاء من جنس العمل فلما أخافوا المسلمين بهدم مساجدهم أو منعهم من العبادة فيها، حكم عليهم بأن لا يدخلوها إلا خائفين، قال أبو جعفر: " وهذا خبرٌ من الله عز وجل عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، أنه قد حرَّم عليهم دخول المساجد التي سعوا في تخريبها ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عز وجل فيها ما داموا على مناصبة الحرب إلا على خوف ووجل من العقوبة على دخولهموها" [2].

وقال الشوكاني: " أي: ما كان ينبغي لهم دخولها إلا حال خوفهم، وفيه إرشاد للعباد من الله عز وجل أنه ينبغي لهم أن يمنعوا مساجد الله من أهل الكفر، من غير فرق بين مسجدٍ ومسجد، وبين كافرٍ وكافر، كما يفيد عموم اللفظ، ولا ينافيه خصوص السبب، وأن يجعلوهم بحالة إذا أرادوا الدخول كانوا على وجل وخوف من أن يفطن لهم أحد من المسلمين فيُنزلون بهم ما يوجب الإهانة والإذلال، وليس فيه الإذن لنا بتمكينهم من ذلك حال خوفهم، بل هو كناية عن المنع لهم مِنَّا عن دخول مساجدنا" [3].

قوله: ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: لهؤلاء المانعين مساجد الله من ذكره والساعين في خرابها خزي في الدنيا، وهو الذلة والهوان والقتل والسبي، وقيل: ضرب الجزية عليهم، ولهم في الآخرة عذاب جهنم الذي لا يُخفف عن أهله، ولا يقضى عليهم فيها فيموتوا، وهو العذاب العظيم الذي لا أعظم منه [4].

---

[1] تفسير القرآن (سورة الفاتحة والبقرة)، ابن عثيمين،ج2، ص 8.

[2] جامع البيان، الطبري، ج2، ص523.

[3] فتح القدير، الشوكاني، ج1، ص 153

[4] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج2، ص 447.

ثانيًا: بيان المراد بالمنع من ذكر الله في المساجد والسعي في خرابها في أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في المراد بقوله: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ** ﴾، والمراد بالمسجد الذي منع ذكر الله فيه على أقوال:

- الأول: قال ابن عباس ومجاهد: هم النصارى؛ والمسجد بيت المقدس [1].

- الثاني: قال قتادة [2] والسدي [3]: "هو بُخْتَنَصَّرَ المجوسي [4] وجنده ومن أعانهم من النصارى؛ والمسجد: مسجد بيت المقدس [5]".
- الثالث: قال ابن زيد [6]: المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام عام الحديبية [7].
- الرابع: أن الآية عامة في كل من منع مسجدًا من ذكر الله، وهو الراجح لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والأصل حمل الكلام على العموم إلا بدليل [8]، قال القرطبي مرجحًا هذا القول: " وهو الصحيح؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ببعض المساجد

---

[1] جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري ج2، ص 444.

[2] هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري الضرير، ثقة ثبت، وكان من أوعية العلم والحفظ، رأسًا في التفسير والحديث، توفي سنة 118هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج5، ص269، والتقريب، الباقلاني، ص 798.

[3] هو الإمام المفسر، إسماعيل بن عبد الرحمن، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي الأعور السدي، صدوق يهم، ورمي بالتشيع، وعند إطلاق السدي ينصرف إليه دون السدي الصغير- وهو محمد بن مروان- مات سنة 127هـ. ينظر: التقريب، الباقلاني، ص 141، وطبقات المفسرين، السيوطي، ج1، ص 110.

[4] هو بُخْتَنُصر ويقال: نبوخذ نصر، وبُخت: ابن، ونصّر: صنم، قيل إنه وُجد عند صنم ولم يعرف له أب، فقيل ابن الصنم. كان في خدمة بعض ملوك الفرس في زمن (زرادشت) مُدّعِي النبوة ومشرّع دين المجوس، حكم بختنصر بابل (562- 605) قبل الميلاد، سار إلي بيت المقدس، ودمرها وقتل بعض اليهود ونفى بعضهم الآخر. ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري،ج1، ص 534- 565، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج1، ص 175.

[5] جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج2، 445.

[6] هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم، صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرًا في مجلد، وكان ضعيفًا في الحديث، مات سنة 182هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج8، ص 349، والتقريب: الباقلاني، ص 578.

[7] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج2، ص 442، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2، ص 25، وما بعدها، و المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص 199.

[8] ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، ج2، ص 166.

وبعض الأشخاص ضعيف" [1]. وقال ابن عطية: هذه الآية تتناول كل من منع من مسجد إلى يوم القيامة أو خرب مدينة إسلام، لأنها مساجد، وإن لم تكن موقوفة، إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة [2]".

وقوله: ﴿ **أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾ [البقرة: 114]، أي: منعُ من ذكر اسم الله فيها، والمنع الحيلولة بين المريد ومراده [3]، وهو يشمل منع المساجد من ذكر الله مطلقًا فيدخل فيه الصلاة وقراءة القرآن وسائر أنواع العبادات القولية والفعلية، قال أبو حيان: " وكنَّى بذكر اسم الله عما يوقع في المساجد من الصلوات والقربات إلى الله تعالى بالأفعال القلبية والقالبية، من تلاوة كتابه، وحركات الجسم من القيام والركوع والسجود والقعود الذي تعبد به، أو إنما ذكر تعلُّق المنع بذكر اسم الله تنبيهًا على أنهم منعوا أيسر الأشياء، وهو التلفظ باسم الله، فمنعهم لما سواه أولى [4]".

وقال الشوكاني: "والمراد بمنع المساجد أن يذكر فيها اسم الله: منع من يأتي إليها للصلاة والتلاوة والذكر وتعليمه، والمراد بالسعي في خرابها: هو السعي في هدمها ورفع بنيانها، ويجوز أن يراد بالخراب: تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها فيكون أعم من قوله: ﴿ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾، فيشمل جميع ما يمنع من الأمور التي بنيت لها المساجد كتعلم العلم وتعليمه والقعود للاعتكاف وانتظار الصلاة، ويجوز أن يراد ما هو أعم من الأمرين من باب عموم المجاز" [5].

قوله: ﴿**وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا**﴾ السعي: هو العمل في خرابها، والخراب: ضد العمارة، وهو قسمان: حسي: وهو هدم بناء المساجد، ومعنوي: وهو منعها من ذكر الله، والآية تشمل القسمين، قال السعدي: ﴿**وَسَعَىٰ**﴾ أي: اجتهد وبذل وسعه ﴿**فِي خَرَابِهَا**﴾ الحسي والمعنوي، فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها، وتقذيرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش، حين صدوا رسول الله ﷺ عنها عام الحديبية، والنصارى حين أخربوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادةً لله، ومشاقة [6].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص 77.

[2] المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص 199.

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1، ص 63.

[4] البحر المحيط، أبو حيان، ج1، ص 308.

[5] فتح القدير، الشوكاني، ج1، ص 153.

[6] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، الطبري، ج2، ص 447.

المطلب الثالث: عاقبة منع عمارة مساجد الله تعالى:

إن منع مساجد الله أن يذكر الله فيها، والسعي في خرابها من أشد الذنوب وأقبحها، وهو من أشد أنواع الظلم؛ بل لا أظلم منه في باب المنع؛ لأن ذلك تعطيلٌ ومضادةٌ لدين الله الذي أرسل به رسله وارتضاه لعباده، فمنعه منعٌ للخير وتمكينٌ للشر، فإن صلاح الأرض وأهلها بطاعة الله وذكره، ولهذا عندما تخلو الأرض من الإسلام وأهله تقوم الساعة لأنها خلت من الخير وأهله، فكيف إذا رافق ذلك السعي في خرابها من هدم وتدمير أو إغلاق لأبوابها في وجوه من يريدون التعبد لله، مع إخافة من يتردد عليها؟

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ نُكِّر الخزي: للتعظيم والتهويل، يعني خزي عظيم، وهذا يدل على أن الذين يخربون بيوت الله خرابًا معنويًّا أو خرابًا حسيًّا موعودون بالعقوبة العاجلة في الدنيا، وهي الخزي المرافق لهم في حياتهم.

يقول السعدي: "وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه فلا أعظم إيمانًا ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسيّة والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة التوبة: 18]" (1).

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 63.

المبحث الثاني

الكاتمون الشهادة وعقوبتهم

المطلب الأول: معنى كتمان الشهادة لغة واصطلاحًا:

أولًا: الكتم لغة:

جاء في مقاييس اللغة: " الكاف والتاء والميم أصلٌ صحيح يدل على إخفاء، وستر، من ذلك: كتمت الحديث كتمًا وكتمانًا، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا**﴾ [النساء: 42]. ويقال: ناقة كتوم: لا ترغو إذا رُكبت، قوةً وصبرًا" [1]. وقال ابن منظور: الكتمان: نقيض الإعلان، كتم الشيء يكتمه كتمًا وكتمانًا واكتتمه وكتمه؛ إذا أخفاه ورجل كاتم للسر وكتوم، وسرٌّ كاتم أي مكتوم؛ واستكتَمه الخبر والسر: سأله كتمه، ورجل كُتَمَة، مثل هُمَزَة، إذا كان يكتم سره، وكاتمني سرَّه: كتمه عني[2].

ثانيًا: الكتمان اصطلاحًا:

استعمل القرآن الكريم المعنى اللغوي للكتمان وعلى ذلك وردت اقوال المفسرين في بيان هذه اللفظة فلا فرق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة.

ثالثًا: الشهادة لغة:

قال ابن فارس: " الشين والهاء والدال أصلٌ يدل على حضورٍ وعلمٍ وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه، من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم والإعلام، يقال: شَهِد يشهَد شهادة، والمشهد: مَحْضَر الناس [3]، والشهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور مفردًا، والشهادة: خبر قاطع، تقول منه: شهد الرجل على كذا، والمشاهدة: المعاينة، وشهده شهودًا: أي حضره، فهو شاهد، وقوم شهود، أي حضور، وهو في الأصل مصدر، وشهد أيضًا مثل راكع وركع، وشهد له بكذا شهادة، أي أدَّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد وأشهدته على كذا فشهد عليهن أي صار شاهدًا عليه [4].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص 157.

[2] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج12، ص 506

[3] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3، ص 221.

[4] ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص267، ولسان العرب، ابن منظور، ج4، ص 2348.

رابعًا: الشهادة اصطلاحًا:

هي الخبر القاطع الذي يؤديه الشاهد عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة؛ والأصل فيها أن يوافق اللسان القلب [1].

وهذا المعنى يشمل ما يتناقله الناس فيما بينهم من أمور قد شاهدوها، أو سمعوها بأنفسهم، ويشمل أيضًا المعنى الخاص للشهادة الذي هو إخبار إنسان عن عيان في مجلس القاضي، وهذا الإخبار يُبنى عليه حق لنفسه أو لغيره، أو عقوبة، أو حد من حدود الله سبحانه وتعالى؛ بهدف إصلاح المجتمع [2].

وهذا المعنى هو الذي تعارف عليه أهل القضاء، وهو خاص بالمعاملات الخاصة بين الناس والتي تشمل الحقوق والحدود والقصاص.

المطلب الثاني: آية (كتمان الشهادة) في القرآن الكريم

يقول الله ﷻ: ﴿**أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: 140].

أولًا: تفسير الآية:

وردت هذه الآية الكريمة في سياق إبطال بعض دعاوى أهل الكتاب الكاذبة التي ادعوها كقولهم: ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا**﴾ [البقرة: 135]، وكمحاجتهم للمؤمنين في الله، فقال هنا ﴿**أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾ الآية، و﴿**أَمْ**﴾ هنا يحتمل أن تكون متصلة فتكون عاطفة لادعاء أهل الكتاب أن إبراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء من اليهود والنصارى على محاجتهم في الله فيكون تقدير الكلام: أتحاجوننا في الله وتقولون إن الأنبياء كانوا على دينكم، والاستفهام للإنكار والتوبيخ لهم على كلا الأمرين فإنه باطل، ويحتمل أن تكون ﴿أَمْ﴾ هنا المنقطعة التي تقدر بـ (بل والهمزة) ويكون تقدير الكلام: بل أتقولون، والاستفهام للإنكار والتوبيخ أيضًا فيكون قد انتقل عن قوله: أتحاجوننا وأخذ في الاستفهام عن قضية أخرى، وهي إنكاره عليهم نسبة اليهودية والنصرانية إلى إبراهيم ومن ذكر معه [3].

---

[1] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ج14، ص 304.

[2] ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص 170.

[3] ينظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ج2، ص 146.

وفي قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، الهمزة في قوله: ﴿أَأَنْتُمْ﴾ للاستفهام الإنكاري [1]؛ فقد أنكر الله سبحانه عليهم ادعاءهم بأنهم كانوا هودًا أو نصارى، ثم رد الله سبحانه عليهم، بأنه أعلم بهم منكم، أي لم يكونوا هودًا ولا نصارى. وقد ورد في بيان ذلك: " فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ فالله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]، وهم يقولون: بل كان يهوديًا أو نصرانيًا، فإما أن يكونوا، هم الصادقون العالمون، أو يكون الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعين لا محالة، وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنه – من وضوحه– لم يحتج أن يقول: بل الله أعلم وهو أصدق، ونحو ذلك، لانجلائه لكل أحد، كما إذا قيل: الليل أنور، أم النهار؟... والشرك أحسن أم التوحيد؟ ونحو ذلك، وهذا يعرفه كل من له أدنى عقل حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك، ويعرفون أن إبراهيم وغيره من الأنبياء، لم يكونوا هودا ولا نصارى، فكتموا هذا العلم وهذه الشهادة، فلهذا كان ظلمهم أعظم الظلم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً﴾ فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها، وأظهروا ضدها، جمعوا بين كتم الحق، وعدم النطق به، وإظهار الباطل، والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظُّلم؟ بلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلهذا قال: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، بل قد أحصى أعمالهم، وعدّها وادخر لهم جزاءها، فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئست النار، مثوى للظالمين، وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازي عليها [2].

ثانيًا: أقوال المفسرين في بيان المراد بكتمان الشهادة

بين الله ﷻ في هذه الآية أنه لا أحد أظلم في باب الكتمان ممن كتم شهادة الله التي علمه إياها وطلب منه أن يشهد بها ولا يكتمها، وقد اختلف المفسرون في الشهادة التي كتموها على قولين [3]:

---

[1] ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ج1، ص 198.

[2] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 69.

[3] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج2، ص 608 وما بعدها، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج1، ص 729.

القول الأول: وبه قال الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم [1] قالوا: هي الشهادة في أمر إبراهيم والأنبياء الذين ذكرهم أنهم كانوا حنفاء مسلمين، فكتموها وقالوا: إنهم كانوا هودا أو نصارى. قال الحسن: " والله لقد كان عند القوم من شهادة أن أنبياءه برآء من اليهودية والنصرانية، كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام، فبم استحلوها؟" [2]. ويقول مجاهد: " في قول يهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذكر معهما إنهم كانوا يهودصا أو نصارى، فيقول الله: لا تكتموا مني شهادة إن كانت عندكم فيهم، وقد علم أنهم كاذبون" [3].

والقول الثاني: وبه قال قتادة، وابن زيد وأبو العالية [4]، وهو: أنهم كتموا شهادة أن الإسلام دين الحق وأن محمدًا رسول الله ﷺ وهم يعلمون صدق نبوته وأنه نبي دينه الإسلام.

قال قتادة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾ [البقرة: 140]، " أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله، واتخذوا اليهودية والنصرانية، وكتموا محمد وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل" [5]. ويقول الحسن البصري: " كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين عند الله الإسلام، وإن محمدًا رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهد الله بذلك، وأقروا به على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم" [6].

ويُرجح القول الأول؛ بدلالة السياق، وهذا ما أقره الطبري في قوله: "... وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك؛ لأن قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ**﴾ [البقرة:

---

[1] هو: الإمام، الحجة، القدوة، زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله: مفسر فقيه، من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، وكان ثقة، كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج5، ص316.

[2] جامع البيان، الطبري، ج2، ص 611، الدر المنثور، السيوطي، ج1، ص 729.

[3] جامع البيان، الطبري، ج2، ص 610.

[4] أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، مات سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين، وقيل بعد ذلك. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج4، ص 207.

[5] جامع البيان، الطبري، ج2، ص 612.

[6] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1، ص 451.

140] ذكره في أثر قصة من سمَّى الله من أنبيائه، وأمام قصته لهم، فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره" [1].

وملخص الحديث مما سبق أنه سبحانه وتعالى أنكر عليهم كذبهم وبهتانهم في دعوى أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى، فهي دعوى كاذبة آثمة؛ فإن اليهودية والنصرانية نزلت بعد هؤلاء الذين ذكرهم الله من أنبيائه.

المطلب الثالث: عاقبة كتمان الشهادة.

نهى الله ﷻ عن كتم الشهادة إذا طُلب من الشاهد أداؤها، وكتم الشهادة هو إخفاؤها، والامتناع عن أدائها عن د الحاجة إليها [2]. يقول الله ﷻ : ﴿ **وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا** ﴾ [البقرة: 282]، ويقول ﷻ: ﴿ **وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة 283]، وكتمان الشهادة التي استشهد الله خلقه عليها بعد تحققها ومعرفتها حرام بتحريم الله، ومناف للإيمان، وهي من أعظم الذنوب، وهي من الظلم ولا ذنب أظلم في باب الكتمان منه؛ لأن فعل هذا الأمر إخفاء لما أمر الله بالشهادة به، والله لا يأمر إلا بالصدق والحق، فمن كتم الشهادة، فقد كتم الحق.

ولو تدبرنا الآية جيدًا نلحظ أنه قد عُبّر عن امتناع أداء الشهادة بلفظة (الكتم) دون غيره من الألفاظ، وذلك لأن الكتم هو كبت الشيء الذي يحاول أن يخرج، فكأنّ فطرة المؤمن تلحّ عليه لتحاول إخراج الحقيقة وهو يقوم بكتمها [3].

لذلك حذر الله ﷻ الشهود من كتمان الشهادة فقال: ﴿ **وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ﴾ أي فاجر قلبه، والشهادة تكون باللسان، ولكن لم خص الله ﷻ القلب بالإثم دون سائر الأعضاء؛ ومع أنه يكفي أن يقول: ﴿ **وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ﴾؟

يجيب على ذلك الإمام الزمخشري بأن الكتمان من أعمال القلب، وإسناد الفعل إلى الجارحة أبلغ في التعبير، ولأن القلب هو أشرف الأعضاء، وكي لا يظن الشاهد أنّ كتمان الشهادة متعلق باللسان فقط، وذلك لأن اللسان هو ترجمان القلب، وقد عبّر به عن سائر الأعضاء [4].

---

[1] جامع البيان، تفسير الطبري، ج2، ص 613.

[2] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج4، ص 512.

[3] ينظر: الخواطر، الشعراوي، ج2، ص 1227.

[4] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 357.

يقول السعدي مبينًا عظم كتمان الشهادة، وقبحه: "... فلهذا كان ظلمهم أعظم الظُّلم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها وأظهروا ضدها، جمعوا بين كتم الحق وعدم النطق به، وإظهار الباطل، والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظُّلم؟ بلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلهذا قال: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾" [1].

يقول ابن عثيمين: " ومن فوائد الآية: عظم كتم العلم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾؛ فإن العالم بشريعة الله عنده شهادة من الله بهذه الشريعة، كما قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]؛ فكل إنسان يكتم علما فقد كتم شهادة عنده من الله؛ ثم إن في هذا عظم إثمه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾" [2].

وقال رسول الله ﷺ: **(مَن سُئِلَ عن عِلمٍ فَكَتمَهُ أَلجمَهُ اللَّهُ بلِجامٍ مِن نارٍ يومَ القِيامَةِ)** [3]. فيجب على كل مسلم أن يشهد بالحق، وأن يحذر من كتمانه.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 69.

(2) تفسير سورة الفاتحة والبقرة، ابن عثيمين، ج2، ص 103.

(3) مسند أحمد، جزء16، ص351، رقم10597 وهو حسن صحيح

المبحث الثالث

المفترون على الله وعقوبتهم

المطلب الأول: تعريف الافتراء على الله لغة واصطلاحًا

أولًا: الافتراء لغة

الافتراء: مصدر قولهم: افترى يفتري، وهو مأخوذ من مادة (ف ر ى) التي تدل على القطع، ومن ذلك فريت الشيء فريًا قطعته لإصلاحه، وأفريته: قطعته لإفساده، ويقال: فرى فلان كذا، إذا خَلَقَهُ [1].

وعرفه ابن منظور بقوله: " والفرية: الكذب، فرى كذبًا فريًا، وافتراه: اختلقه، ورجل فريّ ومفرى وإنه لقبيح الفرية، وفي التنزيل: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ**﴾ [يونس: 38] أي اختلقه، وفرى فلان كذا إذا خلقه، وافتراه: اختلقه، والاسم الفرية. وجمعها: الفرى، وأفرى أفعل منه للتفضيل، وأكذب الكذبات أن يقول رأيت في النوم كذا وكذا، ولم يكن شيئًا، لأنه كذب على الله تعالى، فإنه هو الذي يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام، ففي صحيح البخاري عن واثلة بن الأسقع ﷺ [2]عن النبي ﷺ قال: " إنْ مِنْ أَعْظَمِ الفرى" [3]، أي الكذب... وفي التنزيل العزيز في قصة مريم: ﴿ **قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا**﴾ [مريم: 27]؛ أي: جئت شيئًا عظيمًا، وقيل جئت شيئًا أي مصنوعًا مختلقًا، وقال: " فلان يفري الفريّ إذا كان يأتي بالعجب في عمله" [4].

ثانيًا: الافتراء اصطلاحًا

يقول الكفوي: " الافتراء: هو العظيم من الكذب، ومعنى افترى: افتعل واختلق ما لا يصحّ أن يكون، وهذا أعمّ مما لا يجوز أن يقال وما لا يجوز أن يفعل" [5].

---

[1] ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج4، ص 496- 497.

[2] واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر من بني ليث بن بكر بن عبد مناة، ويقال " ابن الأسقع بن عبد الله بن عبد ياليل، روى عن النبي ﷺ وعن أبي مرثد وأبي هريرة وأم سلمة، وعنه ابنته فسيلة، مات سنة خمس وثمانين". ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج11، ص 304.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب حدثنا أبو معمر، ج4ن ص 180، رقم 3509.

[4] لسان العرب، ابن منظور، ج15، ص 154.

[5] الكليات، الكفوي، ص 154.

وعرفه السيوطي بأنه: " اختراع قضية لا أصل لها" [1].

كما عرفه الراغب الأصفهاني بقوله: " الكذب إما أن يكون اختراعًا لقصة لا أصل لها، أو زيادة في القصة أو نقصانًا يغيران المعنى، أو تحريفًا بتغيير عبارة، فما كان اختراعًا يقال له: الافتراء والاختلاق" [2]. يفهم من كلامه: أن الافتراء هو اختراع لقصة كاذبة لا أصل لها.

وتعرف الباحثة الافتراء بأنه: نسبة قول مُتَكَلّف أو فعل مرفوض إلى شخص بغير وجه حق للوصول إلى مرمى معين، ويكون ذلك بحضرة المُفترى عليه.

أما الافتراء على الله فهو نسبة قول أو فعل لله تعالى بغير وجه حق للوصول إى غاية في نفس المفتري .

المطلب الثاني: تفسير الآيات التي ذكرت المفترين على الله :

جاء ذكر المفترين على الله في كتابه الكريم في تسع آيات، أربعٍ منها أفردت ذكر ذنب افتراء الكذب على الله وحده، وسأذكرها في هذا المطلب، وخمسٍ ذكرت مع ذنب الافتراء ذنبًا آخر، وسأذكرها في مطالب تالية [3]، وفيما يلي عرض الآيات التي أفردت الافتراء على الله تعالى بالذكر:

1. قوله ﷻ: ﴿**وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: 144].
2. وقوله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: 18].

---

[1] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، ج1، ص 207.

[2] الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص 275.

[3] ذكرت أربعًا في المبحث الرابع: (التكذيب بآيات الله)، والآيات الواردة في ذلك هي: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 21]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ [الأعراف: 37]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 17]،﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[العنكبوت: 68]، و ذكرت الخامسة في المبحث الخامس(ادعاء الوحي) وهي: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

3. وقوله تبارك اسمه وتعالى شأنه: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: 15].

4. وقوله جل جلاله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: 7].

أولًا: تفسير الآيات:

1- تفسير الآية الأولى:

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 144]. جاءت هذه الآية في سياق قوله عز وجل: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: 143]، وقد بين الله ﷻ فيها امتنانه على عباده بأن جعل كل هذه الأنعام لهم حلالًا طيبًا، وبين فيها كذلك جهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعًا: بحيرة [1]، وسائبة، ووصيلة، وحامًا، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار؛ فبيَّن ﷻ أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه أنشأ من الأنعام حمولة [2] وفرشًا، ثم بين أصناف الأنعام: غنم وهي الضأن والمعز ذكره وأنثاه، وإلى إبل ذكورها وإناثها، وبقر كذلك، وأنه تعالى لم يحرم شيئًا من ذلك ولا شيئًا من أولادها بل كلها مخلوقة لبني آدم أكلًا وركوبًا وحمولة وحلبًا وغير ذلك من وجوه المنافع [3]، وذكرها الله توطئة لتقسيم الأنعام إلى أربعة أصناف الذي هو توطئة للرد على المشركين لقوله: ﴿قُلْ

---

[1] تعددت أقوال المفسرين في بيان المراد بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأصلحها إسنادًا ما رواه البخاري في صحيحه، ج4، ص 1690، حديث رقم 4347، ومسلم في صحيحه ج8، ص 155، حديث رقم 7295، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس". والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم، لا يحمل عليها شيء. والوصيلة: الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودَعُوه للطواغيت، وأعفوه عن الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحامي. وينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 208.

[2] الحَمولة: ما حُمل عليه من الإبل وغيرها، والفرش: صغار الإبل التي لم تدرك أن يحمل عليها، وقيل غير ذلك. ينظر: وجامع البيان، الطبري، ج9، ص 618، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 350.

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 351، وتفسير السعدي، ص 277.

آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [الأنعام: 144]؛ أي: أنشأ من الأنعام حمولة إلى آخره حالة كونها ثمانية أزواج [1].

وهذه الأنعام التي امتن الله بها على عباده، وجعلها كلها حلالًا طيبًا: ﴿**ث ـمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ ذكر وأنثى ﴿**وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ**﴾ كذلك، فهذه أربعة، كلها داخلة فيما أحل الله تعالى، لا فرق بين شيء منها، فأين الحجة لهؤلاء المتكلفين، الذين يحرمون منها شيئًا دون شيء، أو يحرمون بعضها على الإناث دون الذكور؟

ثم ذكر في الإبل والبقر مثل ذلك، وبين بطلان قولهم وفساده، كما بين أن لا حيلة لهم في الخروج من تبعته، إلا في اتباع شرع الله. ثم تلتها الآية: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ أي: مع كذبه وافترائه على الله، قصده بذلك إضلال عباد الله عن سبيل الله، بغير بينة منه ولا برهان، ولا عقل ولا نقل. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ الذين لا إرادة لهم في غير الظلم والجور، والافتراء على الله تعالى [2].

2- تفسير الآية الثانية:

يقول الله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَـٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: 18]. يخبر تعالى أنه لا أحد ﴿**أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾، ويدخل في هذا كل من كذب على الله ﷻ، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه، بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله تعالى، فهؤلاء أعظم الناس ظلمًا ﴿ **أُولَـٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ** ﴾ العرض: هو إظهار الشيء ليُرى ويوقف على حاله، ليجازيهم بظلمهم، فعندما يحكم عليهم بالعقاب الشديد ﴿**وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ**﴾ ؛ أي الذين شهدوا عليهم بافترائهم وكذبهم، والأشهاد: جمع شاهد، كالأصحاب جمع صاحب، واختلف في المراد بالأشهاد، فقال ابن عباس: إنهم الأنبياء والمرسلون، وقال مجاهد: هم الملائكة، وقال بعضهم: الخلائق كلهم، والمعنى: أنه يقول هؤلاء الأشهاد عند العرض: هؤلاء المعرضون أو المعروضة أعمالهم الذين كذبوا على ربهم بما نسبوه إليه، ولم يصرحوا بما كذبوا به كأنه كان أمرًا معلومًا عند أهل ذلك الموقف كما في الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: **(إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيَقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا،**

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج8، ص 128.

[2] ينظر: تفسير السعدي، ص 277.

أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حتَّى إذَا قَرَّرَهُ بذُنُوبِهِ، ورَأَى في نَفْسِهِ أنَّه هَلَكَ، قالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وأَنَا أغْفِرُهَا لكَ اليَومَ، فيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وأَمَّا الكَافِرُ والمُنَافِقُونَ، فيَقولُ الأشْهَادُ: ﴿**هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: 18]) [1] وفائدة قول الأشهاد بهذه المقالة: المبالغة في فضيحة الكفار، والتقريع لهم على رؤوس الأشهاد، ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: ألا غضب الله على المعتدين، الذين كفروا بربهم، غضبًا ولعنة لا تنقطع؛ لأن ظلمهم صار وصفًا لهم ملازمًا، لا يقبل التخفيف [2].

3- تفسير الآية الثالثة:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ [الكهف: 15].

يقول عز ذكره وتعالى شأنه مخبرًا عن قيل الفتية من أصحاب الكهف: ﴿**هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً** ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا أي أهل عصرنا وبلدنا، عبدوا الأصنام تقليدًا من غير حجة ﴿ **لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾ يقول: هلَّا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة وبرهان، ويقيموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلًا واضحًا صحيحًا؟! و﴿ **لَوْلَا**﴾ في هذه الآية للتحضيض، وهو الطلب بحث وشدة، والمراد بهذا الطلب التعجيز؛ لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان بين على جواز عبادة غير الله، والمراد بالسلطان البين: الحجة الواضحة.

﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ ومن أشد اعتداءً وإشراكًا بالله تعالى، ممن اختلق، فتخرَّص على الله تعالى كذبًا، وأشرك مع الله في سلطانه شريكًا يعبده دونه، ويتخذه إلهًا فلا أحد أظلم منه[3].

4- تفسير الآية الرابعة:

﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الصف: 7].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المظالم باب قول الله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ج2، ص 862، رقم: 2309، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب النجوى، ج8، ص 105، رقم 7115.

[2] ينظر: وجامع البيان، الطبري، ج12، ص 366، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4، ص 313، وفتح القدير، الشوكاني، ج2، ص 557، وتفسير السعدي، ص 277.

[3] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج15، ص 181، وفتح القدير، الشوكاني، ج3، ص 324، وتفسير السعدي، ص 472.

يقول الحق تبارك وتعالى ومن أشد ظلمًا وعدوانًا ممن اختلق على الله الكذب، فجعل له أندادًا وشركاء ويقول عن النبي ﷺ: بأنه ساحر وما جاء به سحر، وكذلك افتراؤه على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام؛ أي: إلى التوحيد والإخلاص، ويبين له بالبراهين والبينات ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، أي: لا يوفق القوم الذين لا يزالون على ظلمهم مستمرين، لا تردهم عنه موعظة، ولا يزجرهم بيان ولا برهان، خصوصًا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، ولينصروا الباطل[1].

ثانيًا: أقوال المفسرين في بيان المراد بافتراء الكذب:

تعددت أقوال المفسرين في بيان المراد بالافتراء على الله، إلا أن مؤداها واحد فهي ترجع إلى ذكر أمثلة لافتراءات الكفرة على الله، والآيات شاملة لها جميعًا، ومنها:

- يقول الطبري: " فمن أشد ظلمًا لنفسه، وأبعد عن الحق، ممن تخرَّص على الله قِيل الكذب وأضاف إليه تحريم ما لم يُحرَّم وتحليل ما لم يحلل" [2].
- ويقول ابن كثير: " ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام؛ أي لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله ويجعل له أندادًا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص" [3].
- ويقول القرطبي: " أي: لا أحد أظلم منهم لأنفسهم لأنهم افتروا على الله كذبًا؛ فأضافوا كلامه إلى غيره وزعموا أن له شريكًا وولدًا، وقالوا للأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله" [4].
- ويقول أبو حيان: " وهم المفترون الذين نسبوا إلى الله الولد، واتخذوا معه آلهة، وحرموا وحللوا من غير شرع الله" [5].
- ويقول السعدي: " ويدخل في هذا كل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه، بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله، فهؤلاء أعظم الناس ظلمًا [6].

---

[1] ينظر: تفسير جامع البيان، الطبري، ج22، ص 614، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8، ص 111، وتفسير السعدي، ص 859.,

[2] جامع البيان، الطبري، ج15، ص 181.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج13، ص 548.

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج15، ص 181.

[5] البحر المحيط، أبو حيان، ج5، ص 212.

[6] تفسير السعدي، السعدي، ص 379.

المطلب الثالث: عاقبة الافتراء على الله تعالى

افتراء الكذب على الله جرم كبير، ومنكرٌ عظيم، وكفر بالله سبحانه وتعالى، وهو حرامٌ بإجماع المسلمين، وقد أخبر الله عنه في آيات عديدة أنه لا أظلم منه في بابه، لأنه كذب على الله جل شأنه وتعالى اسمه، وقولٌ عليه بغير علم، وإضافة شيء إليه لم يقله ولم يفعله، أو وصْفه والإخبار عنه بما لا يليق بكماله وجلاله، فيجب الحذر من ذلك أشد الحذر، وعدم القول على الله بغير علم، وعلى المسلم أن يقف عند ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله فيما صح عنه، ويخبر عنه بما أخبر به عن نفسه أو أخبر عنه رسوله ﷺ، وينفي عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، ويحذر من الافتراء عليه بأي وجه من الوجوه.

وقد توعد الله فاعل هذا الذنب العظيم بأصناف من العقوبات؛ ووصفه بالأوصاف الشنيعة؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: 18]، ويقول تبارك اسمه﴿ **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الأنعام: 21]، ويقول عز وجل: ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الصف: 7]، وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ [يونس: 17]؛ فقد اشتملت الآيات البينات على أصناف من العقوبات منها: طردهم وإبعادهم من رحمته، ووصفهم بالظُّلم، ونفي الفلاح عنهم، وحرمانهم الهداية، ووصفهم بالإجرام.

المبحث الرابع

المكذبون بآيات الله تعالى وعقوبتهم

المطلب الأول: معنى التكذيب بآيات الله تعالى لغة واصطلاحًا

أولًا: تعريف الكذب لغة:

الكذب لغة: الكذب مأخوذ من مادة (ك ذ ب) التي تدل على خلاف الصدق، يقول ابن فارس: "وتلخيص هذا، أنه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق"، من ذلك: الكذب خلاف الصدق، يقال كَذَب كَذِبًا، وكَذَّبتُ فلانًا: نسبته إلى الكذب، وأَكْذَبتُه وجدته كاذبًا، وحملَ فلان ثم كَذَب وكذَّب، أي لم يصدق في الحملَة، وقولهم: ما كذب فلان أن فعل كذا، أي ما لبث، فأما قول العرب كَذَبَ عليك كذا، وكَذَبك كذا بمعنى الإغراء، أي عليك به" [1].

وقال ابن منظور: " الكَذب نقيض الصدق، يقالُ: كَذَب يكْذب كَذبا وكذْبا كُذَبةٌ مثالُ همزة، و كَذْبان.والكُذَّب جمع كاذب، مثل راكع ورَّكع، والكُذُب: جمع كَذُوب، وكذب الرجل: أخبر بالكذب"[2]. ويأتي الكذب كناية عن الجبن عن الثبات في الحرب، ويأتي بمعنى معاريض الكلام والتورية [3].

ثانيًا: الكذب اصطلاحًا

عرفه الكفوي بقوله: " الكذب: إخبار عن المُخبرِ به على خلاف ما هو به مع العلم بأنه كذلك". [4]

وقال الجاحظ: " الكذب هو الإخبار عن الشي ء بخلاف ما هو عليه" [5].

وهو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدًا أم خطأً [6]. وعليه يتبين للباحثة أن الكذب خلاف الصدق، وهو الخبر غير الصحيح، ويكون في الاعتقاد والأقوال والأفعال

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص 168.

(2) لسان العرب، ابن منظور، ج1، ص 704- 705.

(3) لسان العرب، ابن منظور، ج1، ص 704- 705.

(4) الكليات، الكفوي، ص 556.

(5) تهذيب الأخلاق، الجاحظ، ص 32.

(6) فتح الباري، العسقلاني، ج6، ص 242.

ثالثًا: تعريف الآية لغة:

الآية لغة: العَلامة، والأصل: أَوَيَةٌ بالتحريك، وقيل: أصْلها أَأْيَةٌ بِوزن أَعْيَة، مهموزٌ، همزتين، فَخُفّفت الأخيرة فامتدت، وجمع الآية: آيٌ وآيايٌ وآياتٌ، وأَيَّا آيةً: وضَع علامة، وسميت الآية من القرآن آية: لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام.

وتأتي الآية ويراد بها: العبرة وجمعها آيٌ ومنها قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ**﴾ [يوسف: 7].أي: أمورٌ وعبر مختلفة، وهو المعنى المراد بالآيات التي نحن بصدد الحديث عنها [1].

رابعًا: تعريف الآية اصطلاحًا:

الآية هي: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها.

وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدى بها [2].

المطلب الثاني: الآيات التي ذكرت المكذبين بآيات الله وتفسيرها

ورد وصف المكذبين بآيات الله بأنه لا أحد أظلم منهم في ست آيات من كتاب الله تعالى، ثلاثٌ منها اقتصرت على ذكر التكذيب بآيات الله تعالى فقط، والرابعة جاء فيها زيادة ذكر التكذيب بالحق، والخامسة جاء فيها زيادة ذكر التكذيب بالصدق، والسادسة جاء فيها زيادة ذكر الصَّدَفِ عن آيات الله تعالى مع التكذيب بها. والآيات هي كالتالي:

1. قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الأنعام: 21].
2. وقوله ﷻ : ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾ [الأعراف: 37].
3. وقوله ﷻ: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ [يونس: 17].

---

[1] ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص 168، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص 704، ولسان العرب، ابن منظور، ج1، ص 185.

[2] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص 267.

4. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: 68].

5. وقوله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 32]

6. وقوله ﷻ: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: 157].

أولًا: تفسير الآيات:

1- تفسير الآية الأولى: قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 21]؛ أي: لا أحد في باب الافتراء أشد فريةً ممن افترى على الله الكذب، يقول تعالى ذكره: ومن أشد اعتداءً، وأخطأ فعلًا، وأخطأ قولًا ﴿ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، يعني: ممن اختلق على الله قيلًا باطلًا، واخترق من نفسه عليه كذبًا، فزعم أن له شريكًا من خلقه وإلهًا يُعبد من دونه؛ كما قاله المشركون من عبدة الاوثان، أو ادَّعى له ولدًا أو صاحبة؛ كما قالت النصارى ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التي أعطاها رسله على حقيقة نبوتهم، كما كذبت بها اليهود، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل، ولا يدركون البقاء في الجنان، والمفترون عليه الكذب والجاحدون بنبوة أنبيائه [1].

يقول السعدي: " أي؛ لا أعظم ظلمًا وعنادًا، ممن كان فيه أحد الوصفين، فكيف لو اجتمعا: افتراءُ الكذب على الله، أو التكذيب بآياته التي جاء بها المرسلون، فإن هذا أظلم الناس، والظالم لا يفلح أبدًا، ويدخل في هذا، كل من كذب على الله، بادعاء الشريك له والعوين، أو زعم أنه ينبغي أن يُعبد غيره أو اِتخذ له صاحبة أو ولدًا، وكل من رد الحق الذي جاءت به الرسل أو من قام مقامهم" [2].

[1] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج9، ص 188.

[2] تفسير السعدي، السعدي، ص 253.

2- تفسير الآية الثانية: قول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 37].

يقول الحق تبارك وتعالى: فمن أخطأ فعلًا، وأجهل قولًا، وأبعد ذهابًا عن الحق والصواب ﴿ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾، واختلق على الله زورا من القول، بنسبة الشريك له، أو النقص له، أو التَّقول عليه ما لم يقل، فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرنا بها! ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، **يقول:** أو كذب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه، فجحد حقيقتها ودافع صحتها فلا أحد أظلم منه في بابه. ﴿ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ اختلف المفسرون في معناه: فقال علي بن أبي طلحة [(1)]، عن ابن عباس يقول: " نصيبهم من الأعمال، من عمل خيرًا جُزي به، ومن عمل شرًا جَزي به". وقال العوفي [(2)] عن ابن عباس: " ينالهم ما كُتب عليهم، وكُتب لمن يفترى على الله أن وجهه مسود".

وقال مجاهد: " ما وعدوا فيه من خير وشر" وكذا قال قتادة، والضحاك [(3)]، وغير واحد، واختاره ابن جرير.

وقال محمد بن كعب القرظي [(4)]: ﴿ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ قال: عمله ورزقه وعمره.

وكذا قال الربيع بن أنس [(5)]، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهذا القول قويٌ في المعنى، والسياق يدل عليه، وهو قوله: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، ويصير المعنى في هذه الآية

[(1)] هو: علي بن أبي طلحة سالم، أبو الحسن، نزيل حمص، قال أحمد بن حنبل: روى التفسير عن ابن عباس ولم يره، مات سنة ثلاث وأربعين ومئة، ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، القضاعي، ج20، ص 490.

[(2)] هو: عطية بن سعدة بن جُنادة – بضم الجيم بعدها نون خفيفة– العوفي الجدلي – بفتح الجيم والمهملة– القيسي الكوفي أبو الحسن، صدوق يُخطئ كثيرًا، مات سنة (11هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، ج4، ص 237.

[(3)] هو: الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني النيسابوري، أبو القاسم، مفسر، صدوق كثير الإرسال، مات سنة (105هـ) ينظر: الأعلام، الزركلي، ج3، ص 215.

[(4)] هو محمد بن كعب بن سُليم القُرظي، أبو حمزة، الإمام المفسر، كان أبوه ممن لم يُنبت يوم قريظة فتُرك، سكن بالكوفة، ثم المدينة، كان جالسًا بمسجد الربذة مع بعض جلسائه، فوقعت بهم زلزلة فمات سنة (120هـ)، وقيل: قبل ذلك. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج5، ص 65.

[(5)] هو: الربيع بن أنس البكري و الحنفي بصري، نزل خراسان، صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع، مات سنة أربعين ومائة، وقيل: قبلها، ينظر: تقريب التهذيب، ابن حجر، ص 318.

كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: 70- 71]. وقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: 24].

ثم قال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ ؛ أي: الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم واستيفاء آجالهم، ﴿ قَالُوا﴾ لهم في تلك الحالة توبيخًا وعتابًا ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ؛ فالاستفهام للتقريع والتوبيخ، أي: أين الآلهة التي كنتم تدعونها من دون الله وتعبدونها من الأصنام والأوثان؟ فقد جاء وقت الحاجة إن كان فيها منفعة لكم أو دفع مضرة. ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ ، أي: اضمحلوا وبطلوا، وليسوا مُغْنين عنا من عذاب الله من شيء، ﴿ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾، مستحقين للعذاب المهين الدائم [1].

3- تفسير الآية الثالثة: قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 17].

يقول ﷻ: لا أحد أظلم ولا أعتى ولا أشد إجرامًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، وتقوّل على الله، وزعم أن الله أرسله، ولم يكن كذلك، ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾، يعني: بحججه ورسله وآياته؛ فليس أحدٌ أكبر إجرامًا ولا أعظم ظلمًا من هذا، ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ تعليل لكونه لا أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو كذب بآياته، أي: لا يظفرون بمطلوب، ولا يفوزون بخير [2].

ثانيًا: أقوال المفسرين في بيان المراد بالتكذيب بآيات الله تعالى:

لقد تعددت أقوال المفسرين في بيان المراد بالتكذيب بآيات الله، وعند النظر والتدقيق فيها يتبين أنها لا تخرج عن أحد قولين:

- الأول: تعميم المراد بالآيات بحيث تشمل كل حجج الله تعالى وأعلامه وأدلته.

---

[1] – ينظر: جامع البيان، الطبري، ج10، ص 167، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 410، وتفسير السعدي، ص 288.

[2] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج12، ص 142، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4، ص 254، وفتح القدير، الشوكاني، ج2، ص 492.

- الثاني: إفراد بعض الآيات بالذكر: كالقرآن، والمعجزات، والنبي.

وكلا القولين صواب، ويؤيد بعضها بعضًا، والاختلاف بينها من قبيل اختلاف التنوع، وفيما يلي بعض أقوال المفسرين:

يقول الطبري: "﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾: أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التي أعطاها رسله على حقيقة نبوتهم" [1]. ويقول أيضًا: "﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: يعني بحججه ورسله وآيات كتابه" [2].

ويقول ابن كثير: " أي لا أظلم ممن تقول على الله فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم ممن كذّب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته [3].

يقول القرطبي: "﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ [الأنعام: 21] يريد القرآن والمعجزات" [4].

ويقول ابن الجوزي: " وفي آياته قولان: أحدهما: أنها محمد والقرآن؛ قاله ابن السائب [5]، والثاني: القرآن؛ قاله مقاتل" [6].

4- **تفسير الآية الرابعة:** التي ذكرت التكذيب بالحق، وهي قوله ﷻ: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾** [العنكبوت: 68].

1- تعريف الحق لغة واصطلاحًا

الحق لغة: الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته، والحق نقيض الباطل، وجمعه حقوق، وحقاق تقول: حقَّ الشيء يحق حقا معناه: وجب يجب وجوبًا. وحُقَّ الأمر يحُقُّ حقَّاً وحقوقًا صار حقًّاً وثبت [7].

---

[1] جامع البيان، الطبري، ج9، ص 188.

[2] المرجع السابق، ج10، ص 167.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج5، ص 435.

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6، ص 401.

[5] هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر، الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب، ورمي بالرفض، مات سنة ست وأربعين ومائة. ينظر: تقريب التهذيب، ابن حجر، ص 847.

[6] هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني البلخي، المفسر، رمي بالتجسيم، وله تصانيف عديدة في مجال التفسير،، منها: التفسير الكبير، وتفسير الخمسائة آية، توفي سنة 150هـ. ينظر: شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي،ج2، ص 228.

[7] ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2، ص 15، ولسان العرب، ابن منظور، ج2، ص 939.

الحق اصطلاحًا: وعرفه الشيخ علي الخفيف بأنه: " ما ثبت بإقرار الشارع وأضفى عليه حمايته " [1].

وعرفه الدكتور محمد يوسف موسى بأنه: (مصلحة ثابتة للفرد أو المجتمع أو لهما، يقررها الشارع الحكيم" [2].

وتعرف الباحثة الحق بأنه: ما ثبت بإقرار الشارع وأضفى عليه حمايته لما فيه من مصلحة ثابتة للفرد والمجتمع.

2- تفسير الآية:

والمعنى: ومن أظلم أيها الناس ممن اختلقوا على الله كذبًا، فقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، والله لا يأمر بالفحشاء، ﴿ **أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ** ﴾ أي: كذب بالقرآن، وبالنبي محمد ﷺ وبما بعثه الله به من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد، فلا أحد أشد عقوبة منه لأنه جمع بين الافتراء والتكذيب ولهذا قال: ﴿ **أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ**﴾ يعني: أليس في النار مثوى ومسكن لمن كفر بالله، وجحد توحيده، وكذب رسوله ﷺ؛ وهذا تقرير، وليس باستفهام، والمراد انهم يخزون بها، وتكون منزلهم الدائم، فلا يخرجون منه [3].

3- أقوال المفسرين في بيان المراد بالتكذيب بالحق:

سبق الكلام في المراد بافتراء الكذب على الله تعالى في المطلب الأول من هذا المبحث، وأما التكذيب بالحق، فقد تنوعت أقوال المفسرين في المراد به في هذه الآية وفيما يلي ذكر جملة منها:

- قال الطبري: ﴿ **أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ** ﴾ يقول: أو كذب بما بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحق من عند الله" [4].

---

[1] الملكية في الشريعة، الخفيف: ج1، ص 6.

[2] المدخل لدراسة فقه الإسلامي، د. محمد يوسف موسى، ص 210.

[3] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج18، ص 444، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص 295، وتفسير السعدي، ص 636.

[4] جامع البيان، الطبري، ج18، ص 444.

- وقال القرطبي: "﴿ أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ﴾ قال يحيى بن سلام [1]: بالقرآن. [2]
- وقال الشوكاني: " أي: كذب بالرسول الذي أرسل إليه والكتاب الذي أنزله على رسوله، وقال السدي: كذب بالتوحيد والظاهر شموله لما يصدق عليه أنه حق" [3]
- وقال السدي: بالتوحيد، وقال بن شجرة [4]: بمحمد ﷺ وكل قول يتناول القولين" [5].

5- تفسير الآية الخامسة: التي ذكرت الكذب على الله والتكذيب بالصدق

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 32] سبق وأن عرفت الكذب في بداية هذا المبحث، وأما الصدق فإليك تعريفه:

أولًا: تعريف الصدق لغة واصطلاحًا

الصدق لغة: جاء في مقاييس اللغة: الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء، من ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، هو باطل، وأصل هذا من قولهم شيء صَدْقٌ، أي صلبٌ، والصدق نقيض الكذب صدق يصدق وصِدقا وتِصداقًا، وصدَّقَه: قبل قوله، وصَدَقَه الحديث أنبأه بالصدق، وصديق الرجل: الذي يصادقه المودة، والصَّادق والصّدُوق واحد، وهذا مصداق الأمر، أي حقيقته، والصدق: الصلب من كل شيء [6].

الصدق اصطلاحًا: عرفه الراغب الاصفهاني بقوله: " الصدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا" [7].

---

[1] يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي (124 هـ - 200 هـ): مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم. ولد بالكوفة، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ بها ونسب إليها. ورحل إلى مصر، ومنها إلى إفريقية فاستوطنها، ووصل إلينا من كتبه: كتاب التفسير، وكتاب التصاريف. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج8، ص 148- 149.

[2] جامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص 364.

[3] فتح القدير، الشوكاني، ج4، ص 212.

[4] هو: يزيد بن شجرة بن أبي شجرة الرهاوي، شامي من مذحج، مُختلف في صحبته، كان معاوية يستعمله على الجيوش، وكان أميرًا حازمًا، قتل في إحدى الغزوات سنة 55هـ، وقيل 58هـ، ينظر: أُسد الغابة، ابن الأثير، ج5، ص 495.

[5] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص 364.

[6] ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3، ص 339، ولسان العرب، ابن منظور: ج4، ص 2417.

[7] الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص 270.

وعرفه ابن عقيل بقوله: " الصدق: هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب" [(1)].

وتعرف الباحثة الصدق: بأنه وصف للخبر علي ما قد قيل به، ويتضمن مطابقة الأقوال للأفعال.

ثانيًا: تفسير الآية:

قوله ﷻ: ﴿ ۩مَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم وأشد ظلمًا ﴿ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ﴾ إما بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله، أو بادعاء النبوة، أو الإخبار بأن الله تعالى قال كذا، أو أخبر بكذا، أو حكم بكذا وهو كاذب، فهذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 169] إن كان جاهلًا وإلا فهو أشنع وأشنع، ﴿ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ أي: وكذب بكتاب الله إذ أنزله على محمد، وابتعثه الله به رسولًا، وأنكر قول لا إله إلا الله، فلا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل، كذب على الله، وكذب رسول الله ﷺ، فقال الباطل ورد الحق؛ ولهذا قال متوعدًا لهم: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾؛ أي: أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله وامتنع عن تصديق محمد ﷺ واتباعه على ما يدعوه إليه مما أتاه به الله من التوحيد، وحكم القرآن؟ [(2)].

ثالثًا: بيان المراد بالكذب على الله في أقوال المفسرين

تعددت أقوال المفسرين في بيان المراد بالكذب على الله تعالى، والآية شاملة لها جميعًا؛ لأن ما ذكره المفسرون أن الكذب على الله تعالى لا يعدو أن يكون نوعًا من أنواع الكذب، فتدخل كلها تحت جنس الكذب على الله تعالى، وهذا بيانها:

- قال السدي: هو الشرك، وزعم قريش أن الملائكة بنات الله.
- وقال بعضهم: كذبهم على الله: تكذيب أنبياء الله
- وقال الطبري هو ادعاؤهم أن لله ولدًا وصاحبة، أو تحريمهم ما لم يحرمه من المطاعم [(3)].
- وقال ابن كثير: هو أنهم جعلوا معه آلهة أخرى، وادَّعوا أن الملائكة بنات الله تعالى، وجعلوا لله تعالى ولدا [(4)].

---

(1) الواضح في أصول الفقه، ابن عقيل، ج1، ص 129.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج20، ص 203، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج7، ص 99، وتفسير السعدي، ص 724.

(3) جامع البيان، الطبري، ج20، ص 203.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج7، ص 98.

- وقال مجاهد وقتادة: كذبهم على الله هو: زعم اليهود أن عزيرًا ابن الله، وزعم النصارى أن المسيح ابن الله [1].

وينطبق ما قيل سابقًا عن الكذب على الله تعالى على التكذيب بالصدق، من خلال الآيات حسب أقوال العلماء وهذا ذكرها:

- قال الطبري: "... ﴿ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ يقول: وكذب بكتاب الله إذ أنزله على محمد، وابتعثه الله به رسولًا، وأنكر قول لا إله إلا الله" [2].
- وقال ابن كثير: " ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أي: لا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل، كذب على الله، وكذب رسول الله، قالوا الباطل وردوا الحق" [3].
- وقال قتادة: ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أي: بالقرآن" [4]. ويتضح مما سبق أن المراد بالكذب من باب تعداد بعض الأنواع التي تندرج تحت دلالة الآية، هو من باب اختلاف التنوع لا التضاد.

6- تفسير الآية السادسة: التي ذكرت التكذيب بآيات الله والصدف عنها

وهي قوله ﷻ: **﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾** [الأنعام: 157].

فقد ذكر الله ﷻ في هذه الآية ذنبين عظيمين فقال: **﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾**، وقد سبق بيان المراد بالتكذيب بآيات الله تعالى في الآيات السابقة من هذا المبحث. وقبل أن أبدأ بتفسير الآية وعرض أقوال المفسرين فيها، أشير إلى معنى الصدف في اللغة:

---

[1] تفسير القرآن، السمعاني، ج4، ص 469.

[2] المرجع السابق نفسه.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج7، ص 98.

[4] جامع البيان، الطبري، ج20، ص 203.

أولًا: معنى الصدف

الصدف في اللغة له معانٍ عدة، منها الميل، قال ابن فارس: " الصاد والدال والفاء أصلان، الأول: يدل على الميل، والثاني: عرض من الأعراض، فالأول قولهم: صدف عن الشيء، إذا مال عنه وولّى ذاهبًا، والصدوف: الميل عن الشيء، وأصدفني عنه كذا وكذا أي أمالني. ومنها الإعراض يقال: صدف عنه يصدف: إذا أعرض إعراضًا شديدًا. ومنها العدول عن الشيء: يقال: صدفَ عنه يصْدفُ صدْفاً وصدوفًا: عَدَلَ، وأصدفه عنه: عَدَلَ به، وصَدَفَ عني: أي أعرض، ويأتي الصَّدف بمعنى: الصَّرْف، يقال: صدف فلانًا عن الشيء صدفًا: أي صرفه [(1)].

ثانيًا: تفسير الآية:

وردت هذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ**﴾ [الأنعام: 155- 156]

وقبل أن أفسر الآية سأبين تفسير هاتين الآيتين ليتضح معنى الآية التي معنا:

يقول ﷻ: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ**﴾: أي هذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ كتابٌ أنزلناه مبارك، ﴿**فَاتَّبِعُوهُ**﴾ يقول: فاجعلوه إمامًا تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس، ﴿**وَاتَّقُوا**﴾ يقول: واحذروا الله في أنفسكم أن تُضيعوا العمل بما فيه، وتتعدُّوا حدوده، وتستحلوا محارمه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي: إن قبلتموه ولم تخالفوه ترحمون برحمة الله سبحانه فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه [(2)]. ﴿ **أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ**﴾؛ أي: لئلا تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، والمعنى: لينقطع عذرهم، كما قال سبحانه: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [القصص: 47]. وقوله: ﴿**عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا**﴾ قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى، وكذا قال مجاهد، والسدي، وقتادة وغير واحد.

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3، ص 338، والمفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص 478، ولسان العرب، ابن منظور، ج4، ص 2416.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج10، ص 6، وفتح القدير، الشوكاني، ج2، ص 205.

وقوله: ﴿ وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ أي: ما كنا نفهم ما يقولون؛ لأنهم ليسوا بلساننا، ونحن مع ذلك في شغل وغفلة عما هم فيه، فأنزل الله إليهم كتابًا، لم ينزل من السماء كتاب أجمع ولا أوضح ولا أبين منه.

ثم قال في الآية التي معنا: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ﴾ [الأنعام: 157] أي: ولئلا تقولوا: ﴿ لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾ كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا، فأُمرنا فيه ونهينا، وبين لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه، ﴿ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ﴾: أي لكنا أشد استقامة على طريق الحق واتباعًا للكتاب، وأحسن عملًا بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا، ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربيٌ مبين، حجةٌ عليكم واضحة بينة من ربكم. ﴿ وَهُدًى﴾ أي: وبيان للحق، وفرقان بين الصواب والخطأ، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لمن عمل به واتبعه، وسعادة لكم في دينكم ودنياكم، فهذا يوجب لكم الانقياد لأحكامه والإيمان بأخباره، وأن من لم يرفع به رأسًا وكذب به، فإنه أظلم الظالمين، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أي: فلا أحد أظلم في هذا الباب ممن جمع بين التكذيب بآيات الله، والصدف عنها، أي صرف الناس وصدهم عن الإيمان بها واتباعها، ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أسوأ العذاب وأشده الذي يسوء صاحبه ويشق عليه ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ أي: بسبب صرفهم للناس وصدهم عن آيات الله واتباع الهدى [1].

ثالثًا: أقوال المفسرين في بيان المراد من الصدف عن آيات الله تعالى

اختلف المفسرون في المراد بالصدف على قولين:

- الأول: أنه صرف الناس وصدهم عن آيات الله وبه قال السدي، واختاره ابن كثير.
- الثاني: أنه الإعراض عن آيات الله، قاله: ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، واختاره الطبري.

ويُرجح القول الأول؛ والدليل عليه ما يأتي:

أولًا: أننا لو فسرنا الصدف بالإعراض لجعلناه مرادفًا للإعراض، وقد ذكر الله إعراض الكفار عن آياته بآيتين مستقلتين كما سيأتي في المطلب التالي، والأصل في ألفاظ القرآن التغاير لا الترادف، بل الترادف فيها معدوم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والترادف في اللغة قليل، وأما في

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 370، وفتح القدير، الشوكاني، ج2، ص 204، وتفسير السعدي، ص 280.

ألفاظ القرآن معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن" [1].

ثانيًا: أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، وقد أشار ابن كثير أن هذه الآية تفسرها آيات أخرى فقال: " وقول السدي هنا فيه قوة لأنه قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: 157]، كما تقدم في أول السورة ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 26]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: 88] وقال في هذه الآية: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [2].

المطلب الثالث: عاقبة الكذب على الله والتكذيب بآياته والصدف عنها:

الكذب على الله من أعظم الذنوب وأكثرها جرمًا؛ يقول ﷻ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 21]؛ قال أهل التفسير: "والمعنى: ومن أشد اعتداءً، وأخطأ فعلًا، وأخطأ قولًا ممن افترى على الله كذبًا" [3]، فأعظم الكذب على الله الكفرُ وجحدُ آياته، وتكذيب رسله، وإصدار الأحكام النابعة من الهوى والشهوات بغير علم ولا هدًى ولا كتاب منير.

ومن أعظم العقوبات في الدنيا لمن كذب على الله، وصدف عن آياته واستكبر وأعرض، فإنه "لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفَّق للصراط المستقيم" [4]؛ يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28]، وأما عقوبة الآخرة فقال ﷻ : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60].

---

[1] مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص 42.

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 370.

[3] جامع البيان، الطبري، ج11، ص 269.

[4] تفسير السعدي، ص 736.

المبحث الخامس

المدعون الوحي افتراءً وعقوبتهم

المطلب الأول: تعريف الوحي لغة واصطلاحًا

أولًا: تعريف الوحي لغة:

جاء في مقاييس اللغة: " الواو والحاء والحرف المعتل: أصلٌ يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك، فالوحي الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان... وكل ما في باب الوحي فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه، والوحي: السريع، والوحي: الصوت" [(1)]، ويقال وحيت إليه وأوحيت: إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، ويطلق الوحي على الإشارة السريعة، ويكون على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد أو بالإشارة ببعض الجوارح، ومادة الكلمة تدل على معنيين أصليين هما الخفاء والسرعة، ولذا قيل في معناه: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره" [(2)].

ثانيًا: تعريف الوحي اصطلاحًا:

يعرف ابن تيمية الوحي بأنه: " الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة وإما في المنام" [(3)].

المطلب الثاني: الآيات التي ذكر فيها ادعاء الوحي وتفسيرها

وهي الآية التي ذكرت مع ذنب افتراء الكذب على الله، ذنب ادعاء الوحي وقد وردت في سورة الأنعام يقول الله ﷻ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6، ص 93.

(2) ينظر: المفردات في غريب ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 536، تاج العروس، الزبيدي، ج10، ص 385.

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج12، ص 398.

أولًا: تفسير الآية:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ الآية، أي: لا أحد أعظم ظلمًا، ولا أكبر جرمًا، ممن كذب على الله؛ بأن نسب إليه قولًا أو حكمًا وهو تعالى بريئ منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان: أصولها وفروعها ونسبة ذلك إلى الله مما هو من أكبر المفاسد.

ويندرج في ذلك، ادعاء النبوة، وأن الله يوحي إليه، وهو كاذب في ذلك، فإنه – مع كذبه على الله، وجرأته على عظمته وسلطانه– يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه، وأموالهم. ويدخل في هذه الآية كل من ادعى النبوة؛ كمسيلمة الكذاب [1]، والأسود العنسي [2]، والمختار [3].

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: ومن أظلم ممن زعم أنه يقدر على ما يقدر عليه الله ويجاري الله في أحكامه، ويشرع من الشرائع، كما شرعه الله، ويدخل في هذا كل من يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن، وأنه في إمكانه أن يأتي بمثله. وأي ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه، مشاركة القوي الغني، الذي له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، في ذاته وأسمائه وصفاته؟ [4]

ولما ذم الظالمين، ذكر ما أعد لهم من العقوبة في حال الاحتضار، ويوم القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء

---

[1] هو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي الوائلي، ولد باليمامة، ويلقب برحمن اليمامة، وهو أحد من وفدوا إلى رسول الله ﷺ سنة 9هـ، من بني حنيفة، وبعد عودة الوفد ارتد مسيلمة وادعى النبوة، فأرسل إليه أبو بكر الصديق بقيادة خالد بن الوليد فهزموا جيش مسيلمة وقتله وحشي بن حرب قاتل حمزة، وذلك سنة 11هـ. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج2، ص 361. والأعلام، الزركلي، ج8، ص 125.

[2] هو: عيهلة بن كعب، يلقب ذو الخمار، لأنه كان معتمرًا مختمرًا أبدًا، ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ، وكان يريهم الأعاجيب، وكانت ردته أول ردة في الإسلام، وجاء كتاب النبي ﷺ إلى من بقي من المسلمين باليمن بقتله، فقتله أحدهم، وقد كانت فترة ملكه منذ ظهر إلى أن قتل ثلاثة أشهر سنة 11هـ. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص 111.

[3] هو: المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكذاب، أبو إسحاق، ولد عام الهجرة، وليست له صحبة ولا رؤية، وأخباره غير مرضية حكاها عنه ثقات مثل: الشعبي وغيره، خرج على بني أمية سنة 61هـ. ادعى النبوة، وقتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة 67هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج3، ص 538، الأعلام، الزركلي، ج8، ص 70.

[4] ينظر: تفسير السعدي، ص 265.

الظالمين، العادلين بربهم الآلهة والأنداد، والقائلين: ما أنزل الله على بشر من شيء، والمفترين على الله كذبًا، الزاعمين أن الله أوحى إليهم ولم يوح إليهم شيء، والقائلين: سننزل مثل ما أنزل الله، فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والغمرات: جمع غمرة، و أصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها. ثم وضعت في معنى الشدائد والمكاره. ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ** ﴾ أي: بالضرب كما قال سبحانه: ﴿**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة 28] قيل: بالعذاب ومطارق الحديد، وقيل: لقبض أرواحهم، وفي التنزيل: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [الأنفال: 50] ولهذا قال: ﴿**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**﴾ أي خلصوها من العذاب إن أمكنكم، وهو توبيخ. وقيل: أخرجوها كرهًا، لأن روح المؤمن تنشط للخروج للقاء ربه، وروح الكافر تنتزع انتزاعًا شديدًا، ويقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله، وقيل: هو بمنزلة قول القائل لمن يعذبه: لأذيقنك العذاب ولأخرجن نفسك، وذلك لأنهم لا يخرجون أنفسهم بل يقبضها ملك الموت وأعوانه. فالكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم، والحميم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿ **بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾ أي العذاب الشديد، الذي يذلكم والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب ﴿**وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾؛ أي ترفعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها، وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده [1].

ثالثًا: أقوال المفسرين في بيان المراد بمن ادعى أنه أوحي إليه ولم يوح إليه شيء:

- يقول الطبري: إن الآية عامة في كل من ادعى النبوة [2].
- وقال: ابن عباس، والسدي: نزلت هذه الآية في عبد الله بن سعد بن أبي سرح [3].

---

[1] ينظر: جامع البيان ،الطبري الجزء 9، ص408، تفسير القرآن العظييم، ابن كثير ج3، ص302 .

[2] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج9، ص 404.

[3] هو: صاحب رسول الله عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي، من قريش: فاتح إفريقية، وفارس بني عامر. من أبطال الصحابة. أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها. وكان من كتاب الوحي وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر. وولي مصر سنة 25هـ بعد عمرو بن العاص، فاستمر نحو 12 عامًا، اعتزل الحرب بين معاوية وعلي (بصفين) ومات بعسقلان فجأة، وهو قائم يصلي. وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج4، ص 88، وينظر فيمن قال إن الآية نزلت فيه: جامع البيان، الطبري، ج9، ص 405، وتفسير السمعاني، ج2، ص 126.

- وقال عكرمة [1]، وقتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي [2].

وعند النظر والتدقيق في هذه الأقوال يتضح أنه لا خلاف بينها، وهذا ما ذهب إليه الطبري فقال: "... وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، إن الله قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: 93] ولا تمانع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين. فكان لا شك بذلك من قيله مفتريًا كذبًا. وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين ادعيا على الله كذبًا أنه بعثهما نبيين، وقال كل واحد منهما: إن الله أوحى إليه، وهو كاذب في قيله. فإذا كان كذلك، فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقًا على الله كذبًا، وقائلًا في ذلك الزمان وفي غيره أوحى الله إليه، وهو في قيله كاذب لم يوح الله إليه شيئًا [3]".

عاقبة ادعاء الوحي:

إن ادعاء الوحي من الله أو إنزال مثل ما أنزل الله حرام ومنكر لا يجوز بحال من الأحوال، وهو من أقبح الذنوب وأعظمها، ولا أظلم ممن فعله في باب الادعاء؛ لأن هذا يتضمن الكذب على الله وتغيير أصول الأديان وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله، ويوجب مفتريه على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم وهذا من أكبر المفاسد.

ومما يدل على قبحه وسوء عاقبته: ما أعده الله من العذاب لمن فعله؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93]، فيبغتهم العذاب قبل خروج أرواحهم وتبسط الملائكة أيديها بضربهم مع ما توعدهم الله به من عذاب الهون الذي يخزي ويذل من وقع به والعياذ بالله.

---

[1] هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى ابن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، وكان ثقة ثبتًا لم يثبت تكذيبه، ولا ثبتت عنه بدعة، مات سنة 104هـ. ينظر: الأعلام: الزركلي، ج4، ص 244، والتقريب، الباقلاني، ص 687.

[2] ينظر: جامع البيان، الطبري، ج9، ص 405، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 302.

[3] جامع البيان، الطبري، ج9، ص 407.

المبحث السادس

المعرضون عن آيات الله وعقوبتهم

المطلب الأول: معنى الإعراض لغة واصطلاحًا

أولاً: الإعراض لغة:

الإعراض لغة: مصدر أعرض، بمعنى الترك والانصراف، يقال: أعرض عن الشيء إذا ولّاه ظهره [1].

وأعرضت عنه، أي أخذت عُرضاً، أي جانباً غير الجانب الذي هو فيه. [2]

ثانيًا: الإعراض اصطلاحًا:

الإعراض هو الصد والتولي عن ذكر الله تعالى، ومعنى أعرض: أي أعرض وانصرف وتولى عن القرآن والدلائل التي أنزلها الله لعباده ولم ينظر فيها [3].

عرفه الشعراوي فقال: "الإعراض هو الانصراف وأن تعطيه عرض أكتافك" [4]

المطلب الثاني: الآيات التي ذكر فيها الإعراض عن ذكر الله وتفسيرها

ورد ذكر الإعراض عن ذكر الله في آيتين من كتاب الله الحكيم، وهما:

- الآية الأولى: قوله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ [الكهف: 57]
- الآية الثانية: قوله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**﴾ [السجدة: 22].

---

[1] ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص 271، ولسان العرب، ابن منظور، ج9، ص 118.

[2] ينظر: المصباح المنير، الفيومي، ج1، 102.

(3) أضواء البيان، الشنقيطي، ج4، ص 155.

[4] تفسير الشعراوي، ج1، ص 5794.

أولًا: تفسير الآيات

1- **تفسير الآية الأولى:** ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾ [الكهف: 57]؛ أي: لا أحد أظلم لنفسه، ولا أكبر جرمًا، من عبد ذُكّر بآيات ربه ووعظ بها، وتبين له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخُوّف ورُهّب ورُغّب، فأعرض عنها، ولم يُصغ لها، ولا ألقى إليها بالا، ولم يتذكر بما ذكر به، ولم يرجع عما كان عليه، ونسي ما قدمت يداه من الأعمال القبيحة، والأفعال السيئة، ونسي ما قدم من الذنوب والمعاصي المهلكة فلم يتب، ولم ينب، والنسيان هنا: بمعنى الترك، وقيل: المعنى نسي ما قدَّم لنفسه وحصَّل من العذاب؛ والمعنى متقارب، فعاقبه الله بسبب إعراضه عن آياته، ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه، حالة الشر مع علمه بها، أن سد عليه وعلى أمثاله أبواب الهداية فقال: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ بسبب كفرهم، أي: نحن منعنا الإيمان من أن يدخل قلوبهم وأسماعهم؛ فجعلنا على قلوبهم أغطية محكمة تمنعهم أن يفقهوا الآيات وإن سمعوها، فليس في إمكانهم الفقه الذي يصل إلى القلوب، ﴿**وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا** ﴾؛ أي: وجعلنا في آذان المعرضين عن آيات الله ثقلا؛ لئلا يسمعوا آياته سماع فهم وانتفاع بها، ﴿**وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى**﴾ ؛ أي: إن تدعهم -يا محمد- إلى طريق الحق، فلن يسلكوه أبدا؛ لإعراضهم، لأن الله قد طبع على قلوبهم، وأسماعهم، ﴿ **فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾؛ أي: فلن يستقيموا إذًا أبدًا على الحق، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه؛ لأن الله طبع على قلوبهم، وسمعهم، وأبصارهم لأن الذي يرجى أن يجيب الداعي للهدى من ليس عالمًا، وأما هؤلاء، الذين أبصروا ثم عموا، ورأوا طريق الحق فتركوه، وطريق الضلال فسلكوه، وعاقبهم الله بإقفال القلوب والطبع عليها، فليس في هدايتهم حيلة ولا طريق وفي هذه الآية من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه، أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن ذلك [1].

2- **شرح الآية الثانية:** يقول ﷻ : ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**﴾ [السجدة: 22]؛ أي: لا أحد أظلم، وأزيد تعديًا، ممن ذكر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه، الذي يريد تربيته، وتكميل نعمته على أيدي رسله، تأمره، وتذكره مصالحه الدينية والدنيوية، وتنهاه عن مضاره الدينية والدنيوية، التي تقتضي أن يقابلها بالإيمان والتسليم، والانقياد والشكر، فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها، ولا اتبعها، بل أعرض عنها وتركها وراء

---

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج5، ص 172، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص 79، وتفسير السعدي، ص 480.

ظهره، فهذا من أكبر المجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة؛ لهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾؛ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام [1].

ثالثًا: أقوال المفسرين في بيان المراد بالإعراض عن ذكر الله تعالى وآياته:

تجمع أقوال المفسرين على أن المراد بالإعراض عن آيات الله هو: تركها وعدم الأخذ بها، وهذه جملة من أقوالهم:

- قال الطبري: " وأيُّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه بحججه، وآي كتابه ورسله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها" [2].
- وقال ابن كثير: " فأعرض عنها، أي: تناساها وأعرض" [3].
- وقال القرطبي: " أي لا أحد أظلم لنفسه ممن وُعظ بآيات ربه، فتهاون بها وأعرض عن قبولها" [4].

المطلب الثالث: عاقبة المعرضين عن ذكر الله تعالى.

من أعظم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة الإقبال على الله ﷻ والانقياد لشريعته والخضوع لأحكامه والإذعان لأوامره، ومن أعظم أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة الإعراض عن الله تعالى، ورفض الخضوع لشريعته، والاعتراض على أوامره وأحكامه.

ومن يقرأ القرآن الكريم ويطلع على آياته يجده مليئًا بالآيات المحذرة من الإعراض عن دين الله تعالى، والاستكبار عن عبادته، والاعتراض على شيء من شريعته، وما يترتب على ذلك من عقوبات وخيمة في الدنيا والآخرة على الأفراد والأمم.

فالإعراض عن الله تعالى وعن أحكامه؛ سبب لنزول العذاب في الدنيا، ورفع العافية، وإبدال النِّعَمِ نِقَمَاً، كما أخبر الله عز وجل عن قوم سبأ وما هم فيه من نعيم الدنيا، فأُبدل حالهم من النعمة إلى النقمة بسبب إعراضهم:

---

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص 107، وفتح القدير، الشوكاني، ج4، ص 294، وتفسير السعدي، ص 656.

[2] جامع البيان، الطبري، ج18، 634.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج5، ص 172.

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج11، ص 7.

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16].

وقد أُمر النبي ﷺ أن يُنذر كفار مكة، بسبب إعراضهم عن الله -تعالى- وعن دينه، بما أصاب الأمم التي قبلهم من العذاب العاجل: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصّلت: 13]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 16]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: 3].

والعقوبة الدنيوية التي تصيب المعرضين عن الله ﷻ هي: أن يطمس على قلوبهم فلا تعي الذكر، ولا تُبصر الحق، ولا يسير أصحابها فيما ينفعهم، بل يرتكسون [1] في الكفر، والاستكبار، ويجادلون بالباطل، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57].

أيضًا من عقوبة الله تعالى للمعرضين عنه ﷻ ؛ أنه يُعْرِض عنهم، ويكلهم إلى أنفسهم، فيزين لهم سوء أعمالهم فيظنونه حسنًا وهو سيء، فيزداد ضلالًا وإعراضًا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115]، ومعنى قوله: ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾؛ أي: إذا سلَك هذه الطَّريقَ نَتخلَّى عنه، ونتركُه إلى ما اختاره لنفْسِه، ونُحسِّنُه له في صدرِهِ استدراجًا له [2].

ومن العذاب العاجل في الدنيا؛ ما يجدونه في صدورهم من ضيق بالشريعة وأحكامها، ومن ضنك يجعل عيشهم مرّا ولو كانوا في الظاهر منعمين، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124].

كما أن الإعراض عن الله ﷻ يسبب الهموم والغموم؛ يقول ابن الجوزي: " رأيت سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله ﷻ والإقبال على الدنيا" [3].

---

[1] ارْتَكَسَ في أَمْرٍ: وَقَعَ ولم ينجُ. ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 369.

[2] يُنظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2، ص 413، وتفسير السعدي، ص 202.

[3] صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص 341.

وقال ابن القيم –رحمه الله تعالى–: " وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضِيقِ الصَّدْرِ الْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ، وَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَمَحَبَّةُ سِوَاهُ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ الله عُذِّبَ بِهِ، وَسُجِنَ قَلْبُهُ فِي مَحَبَّةِ ذَلِكَ الْغَيْرِ، فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْهُ، وَلَا أَكْسَفُ بَالًا، وَلَا أَنْكَدُ عَيْشًا، وَلَا أَتْعَبُ قَلْبًا" [1].

وفي الآخرة فإن للمعرضين عن الله ﷻ ، وعن شريعته عذابًا أليمًا وشديدًا، وقد بينته آيات كثيرة في الكتاب العزيز، يقول ﷻ : ﴿**كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا**﴾ [طه: 99-101].

والذكر هنا هو القرآن، فمن أعرَضَ عن القُرآنِ، ولم يؤمِنْ به، ولم يَعمَلْ بما فيه؛ فإنَّه يأتي يومَ القيامةِ وهو يحمِلُ إثمًا عظيمًا [2].

والمعرضون متوعدون بانتقام الله ﷻمنهم، وأتعس الناس مَن انتقم الله تعالى منه! ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**﴾ [السجدة: 22].

وانتقام الله ﷻ منهم يكون في الدنيا بما يصيبهم في أنفسهم وأهلهم وأموالهم، ويكون في الآخرة بالعذاب الشديد: ﴿ **وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ**﴾ [فصِّلت: 16].

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ج2، ص 24.

[2] يُنظر: جامع البيان، الطبري، ج16، ص 158، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير،ج5، ص 315، وتفسير السعدي، ص 512.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وإمام الأئمة وسراج الأمة وعلى آله وصحبه الطيبين، **وبعد**...

فقد جاءت هذه الدراسة تحقيقًا لأهداف وضعتها الباحثة في مقدمة بحثها، وقد توصلت إلى مجموعة من النتائج والتوصيات:

أولًا: أهم النتائـج:

1. الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ويراد به الجور، ومجاوزة الحد.
2. ينقسم الظلم إلى ثلاثة دواوين:
   أ- ديوان لا يَغفِرُ اللهُ منه شيئًا، وهو الإشراك بالله.
   ب- ديوانٌ لا يَعبأُ اللهُ به شيئًا وهو ظلمُ العبدِ نفسَه فيما بينه وبين ربِّه.
   ت- ديوانُ لا يَترُكُ اللهُ منه شيئًا: وهي مَظالِمُ العبادِ بينهم.
3. المراد بقوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ في الآيات أي لا أحد أظلم منه في بابه.
4. من جمع بين عدد من الذنوب التي قال الله ﷻ فيها ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾ أشد ظلمًا ممن اقتصر على واحد منها.
5. أعظم الظلم هو الشرك بالله ﷻ.
6. عدد الآيات التي ورد فيها لفظ (أظلم) بصيغة اسم التفضيل ست عشرة آية، عشر منها بلفظ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾، **وخمس منها بلفظ:** ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ**﴾ وآية واحدة اقترنت بالضمير ﴿**هُمْ أَظْلَمَ**﴾.
7. يتجلى الإعجاز البياني لآيات (أظلم الناس) في السياق القرآني من خلال العلاقة الواضحة والقوية بين الآيات السابقة واللاحقة لها.
8. لفظ (أظلم) ورد في القرآن المكي أكثر منه في المدني حيث ورد في تسع سور مكية وسورتين مدنيتين.
9. الاستفهام في لفظ (من أظلم) الغرض منه النفي.
10. تخصيص كل موضع من مواضع (من أظلم) بأنه المعني بمن أظلم منه في بابه.
11. الذنوب التي عد الله ﷻ أصحابها من أظلم الناس تسعة ذنوب وهي:

أ- منع المساجد من ذكر اسم الله تعالى فيها، والسعي في خرابها.

ب- كتم الشهادة التي من الله تعالى.

12. افتراء الكذب على الله تعالى.

أ- التكذيب بآيات الله تعالى.

ب- التكذيب بالحق.

ت- الكذب على الله تعالى والتكذيب بالصدق.

ث- الصدف عن آيات الله تعالى.

ج- ادعاء أحد أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه بشيء.

ح- الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها.

13. جميع هذه الذنوب في غاية الشناعة والقبح.

14. شدة العقوبة التي أعدها الله تعالى لمرتكبي هذه الذنوب.

15. وجوب الحذر من ارتكاب شيء من الذنوب التسعة التي عد الله تعالى أصحابها من أظلم الناس غاية الحذر.

ثانيًا: أهم التوصيات:

استنادًا إلى ما توصلت إليه الباحثة من نتائج، فإنها توصي بالآتي:

1. دعوة الباحثين بإفراد كل نوع من أنواع الظلم بدراسة علمية مستقلة، تستوعب الكشف عن جميع جوانبها، وتسلط الضوء على كافة جزئياتها، وتقدم تصورًا واضحًا شاملًا حولها، يعين الأمة الإسلامية على فهمها وإدراك مدى خطورتها لتسعي إلى تفاديها قبل الوقوع فيها، من أجل تحقيق حياة طيبة.
2. أوصي عباد الله بالابتعاد عن الظلم، والحذر من الوقوع فيه.
3. عقد الندوات وورش العمل حول المنهج القرآني في التعامل مع الظلم والظالمين وتوضيح الآثار المترتبة عليه؛ لغرس القيم الإسلامية في نفوس المسلمين، والحد من انتشاره.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1. *الاتقان في علوم القرآن:* جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، السعودية، مجمع الملك فهد، ط1، د.ت.
2. *أدب الدنيا والدين*: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، د. ط، 1986م.
3. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)*: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، مراجعة: حسن أحمد مرعي، محمد الصادق قمحاوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط4، 1414هـ.
4. *إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول المؤلف*: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور، ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ - 1999م.
5. *أساس البلاغة*: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1419 هـ - 1998 م.
6. *أسد الغابة في معرفة الصحابة المؤلف:* أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1،1415هـ - 1994م.
7. *أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان* المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، المحقق: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، د. ط، د.ت.
8. *الأشباه والنظائر:* مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.
9. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن* المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1415 هـ - 1995م.

10. *إعراب القرآن وبيانه،* محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، دمشق-، بيروت، دار اليمامة، ط4، 1415هـ.
11. *أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري):* أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) ط1، 1409 هـ - 1988 م.
12. *إعلام الساجد بأحكام المساجد*: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، المحقق: أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط4، 1416 هـ - 1996.
13. *الأعلام المؤلف:* خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م.
14. *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:* أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقى، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط2، 1975م.
15. *الإمام في بيان أدلة الأحكام لعز الدين بن عبد السلام،* المحقق: رضوان مختار بن غربية، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1 ،1407هـ - 1987م.
16. *الإمام في بيان أدلة الأحكام،* الإمام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1 ،1407هـ.
17. *أنواع السياق في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية* للدكتورة آمال السيد محمد الأمين، بحث منشور *بمجلة جامعة الناصر*، ع(7)، يناير، يوليو، 2016.
18. *البحر المحيط في التفسير*: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، د. ط، 1420 هـ.
19. *بدائع الفوائد لابن القيم*، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1425،1هـ.
20. *البرهان في علوم القرآن* المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376 هـ -1957م.
21. *البرهان في علوم القرآن:* أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376 هـ - 1957 م. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376 هـ - 1957 م.
22. *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1384هـ.

23. *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:* شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1423هـ.
24. *تاريخ الرسل والملوك*، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، بيروت، دار التراث، ط2، 1387 هـ.
25. *التحرير والتنوير*، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تونس، الدار التونسية، د.ط، 1984 م.
26. *الترجيح بين دلالة السياق وسبب النزول*: محمد أبي زيد، ط: *مجلة جامعة دمشق*، م3، ع(28)، + 4، 2012م.
27. *التسهيل لعلوم التنزيل*: محمد بن أحمد الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1403.
28. *التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم*، دراسة دلالية مقارنة منشورة: عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1405هـ.
29. *التعريفات*: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت 816هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ.
30. *تفسير أبي السعود* (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
31. *تفسير الفاتحة والبقرة*: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط4، 1423.
32. *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1990 م.
33. *تفسير القرآن العظيم*: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1419 هـ.
34. *تفسير القرآن:* أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، السعودية، دار الوطن، ط1، 1418هـ- 1997م.

35. *تفسير المراغي:* أحمد بن مصطفى المراغي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1، 1365 هـ - 1946 م.
36. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2، 1418 هـ.
37. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*: محمد سيد طنطاوي، الفجالة، القاهرة، دار نهضة مصر، ط1، 1997م.
38. *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، بيروت، لبنان، دار طوق النجاة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
39. *تقريب التهذيب:* أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد، ط1، 1406هـ-1986م.
40. *التقريب والإرشاد (الصغير):* محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، تحقيق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، ط2، 1418 هـ - 1998م.
41. *تهذيب الأخلاق*: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قرأه وعلق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، ط1، 1989م.
42. *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ - 1980م.
43. *تهذيب الكمال*: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ.
44. *تهذيب اللغة*: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 2001م.
45. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:* عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000م.
46. *جامع البيان في تأويل القرآن:* محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م.

47. *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه* وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
48. *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964 م.
49. *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء:* محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المغرب، دار المعرفة، ط1، 1418هـ - 1997م.
50. *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* : أبو نعيم أحمد الأصبهاني، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4، 1405هـ.
51. *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدايم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، د. ط، د.ت.
52. *الدر المنثور المؤلف:* عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، 1983م.
53. *دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب:* محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، جدة، مكتبة الخراز، ط1، 1417 هـ - 1996 م.
54. *دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال ابن جرير الطبري لعبد الحكيم القاسم*، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1320هـ.
55. *دلالة السياق رسالة دكتوراه منشورة*، إعداد: ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى.
56. *دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم:* عبد الوهاب أبي صفية الحارثي، ط1، 1409هـ .
57. *دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية*، رسالة ماجستير منشورة، في التفسير وعلوم القرآن، إعداد: فهد الشتوي، 1426هـ . 2005م.

58. *الذريعة إلى مكارم الشريعة:* أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، 1428 هـ - 2007 م.
59. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ.
60. *الروح*: شمس الدين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: السيد عبدالغني زايد، مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 1424هـ.
61. *الروح*: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد تامر، القاهرة، دار الفجر للتراث، 2005م.
62. *زاد المعاد في هدى خير العباد*: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط27، 1415هـ، 1994م.
63. *الزهد والورع والعبادة:* ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، الأردن، مكتبة المنار، ط1، 1407هـ.
64. *زهرة التفاسير*: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، د. ط، د.ت.
65. *الزواجر عن اقتراف الكبائر:* أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، ضبط: أحمد الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1993م.
66. *السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي*: المثنى عبد الفتاح محمود، رسالة ماجستير منشورة في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الأردنية، 2001م .
67. *السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن* كثير، رسالة ماجستير منشورة في التفسير وعلوم القرآن: عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، 1429هـ- 2008م.
68. *سير أعلام النشبلاء*: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ - 1985 م.
69. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، تحقيق: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، بيروت، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1406هـ - 1986 م.

70. *شرح العقيدة الوسطية*: محمد بن صالح العثيمين، طبعة ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، (د. ط)، (د.ت).
71. *شرح الكوكب المنير:* تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد الناشر: مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ - 1997م.
72. *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*: ابن فارس، محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م.
73. *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:* أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عمر الطباع، مكتبة المعارف، د. ط، 1414هـ
74. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ - 1987م.
75. *الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين*: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة دار القدس، صنعاء، ط1، 1411هـ.
76. *صفوة التفاسير*: محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417 هـ - 1997 م.
77. *الصناعتين:* أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العنصرية، 1419 هـ.
78. *صيد الخاطر*: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، دمشق، دار القلم، ط1، 1425هـ، 2004م.
79. *علم المعاني المؤلف:* عبد العزيز عتيق، الناشر: بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ط1، 1430 هـ - 2009 م.
80. *فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن*: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت 926هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، بيروت، لبنان، دار القرآن الكريم، ط1، 1403 هـ - 1983 م.
81. *في ظلال القرآن*: سيد قطب، القاهرة، مطابع الشروق، ط15، 1988م.

82. *قواعد الترجيح عند المفسرين*: حسين بن علي الحربي، طبع دار القاسم، جده، ط2، 1429.
83. *الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة*: أبو عبد الله محمد الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط1 ،1413هـ.
84. *الكامل في التاريخ:* أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ.
85. *كتاب العين:* أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
86. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1407 هـ.
87. *كشف المعانى فى المتشابه من المثانى*: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء . المنصورة، ط1، 1410 هـ - 1990 م.
88. *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، د.ت.
89. *اللباب في علوم الكتاب:* أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1419 هـ -1998م.
90. *لسان العرب:* محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ.
91. *اللطائف المؤلف*: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.
92. مجموع *الفتاوى*: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م.
93. محاسن *التأويل المؤلف:* محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1،-1418 هـ.

94. *المدخل لدراسة الفقه الإسلامي*: محمد يوسف موسى، القاهرة، دار الفكر العربي، 1430هـ- 2009م.
95. *المستدرك على الصحيحين:* أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411 هـ- 1990م.
96. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
97. *المسند الجامع حققه ورتبه وضبط نصه*: محمود محمد خليل، بيروت، دار الجيل، ط1، 1413 هـ - 1993 م.
98. *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ*: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د.ت.
99. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، بيروت، المكتبة العلمية، د. ط، د.ت.
100. *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول:* حافظ بن أحمد بن علي الحكمي تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط1، 1410 هـ - 1990 م.
101. *المعجم المفصل في علوم البلاغة*: إنعام عكاوي، بيروت، دار الكتب العلمية.
102. *المعجم الوسيط*، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د. ط، د.ت.
103. معجم *مقاليد العلوم في الحدود والرسوم*: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1424هـ - 2004 م.
104. معجم *مقاييس اللغة*: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
105. *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3،1420هـ.
106. *المفردات في غريب القرآن*: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412هـ.

107. *مقدمة في أصول التفسير*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت 728هـ)، تحقيق: فواز زمرلي، الناشر، دار ابن الجوزي، د. ط، د.ت.
108. *مكارم الأخلاق:* محمد متولي الشعراوي، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ، 2005م.
109. *ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في آي التنزيل*: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، بيروت، دار الغرب الإسلامي. ط1، 1403هـ.
110. *الملكية في الشريعة الإسلامية مع مقارنة بالشرائع الوضعية معناها أنواعها عناصرها خواصها قيودها* : علي الخفيف، دار الفكر العربي، 1416 هـ- 1996م.
111. *مناهل العرفان*: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، د.ت.
112. *الموافقات*: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1،1417هـ- 1997م.
113. *النبأ العظيم للشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز*، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم، 1426هـ- 2005م.
114. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*: إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ط، د.ت.
115. *النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*: علي بن عيسى، أبو الحسن الرماني، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف، ط3، 1976م.
116. *نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ - 1984م.
117. *الهوى دراسة موضوعية للمصطلح القرآني*: محسن سميح الخالدي، مجلة *دراسات علوم الشريعة والقانون*، 37، (2)، 2010.
118. *الوَاضِح في أصُولِ الفقِه:* أبو الوفاء علي عقيل، تحقيق: عَبد الله بن عَبد المُحسن التركي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 1999 م.
119. *الواضح في علوم القرآن:* مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دمشق، دار العلوم الانسانية، ط2، 1418 هـ - 1998 م.

120. *الوجوه والنظائر*: الدامغاني، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2002.
121. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:* أبو العباس شمس ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس بيروت، دار صادر، ط1، 1994م.
122. *وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم*: عبد العزيز بن ناصر الجليل، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار طيبة، ط1، 1419هـ.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
1.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾	208	14
2.	﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾	36	14
3.	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾	268	14
4.	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾	34	21
5.	﴿لَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	22	28
6.	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	161	53
7.	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾	21	60
8.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾	114	64
9.	﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾	140	104-64
10.	﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾	194	76
11.	﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾	-139 141	86
12.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾	-114 115	88
13.	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾	109	89
14.	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾	111	89

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
15.	﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	112	89
16.	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾	113	90
17.	﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	105	90
18.	﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾	115–116	90
19.	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾	135	104
20.	﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾	283	107
21.	﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	169	124
سورة ال عمران			
22.	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾	108	13
23.	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	76	105
24.	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾	18	108
سورة النساء			
25.	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	40	13
26.	﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ ﴾	117–121	14

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
27.	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا﴾	1	15
28.	﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾	135	17
29.	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	116	25
30.	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾	78	45
31.	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾	165	49
32.	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	-167 169	56
33.	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	65	78
34.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾	60	78
35.	﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾	42	103
36.	﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾	115	136
	سورة المائدة		
37.	﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ﴾	28	131
	سورة الانعام		
38.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَيَّ﴾	93	-46-21 -64-47 -84-83 -129 132-132
39.	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾	43-42	37

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.40	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾	21	39-64-81-117-118-128
.41	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	44	39
.42	﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	129	44
.43	﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	15	49
.44	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	27	50
.45	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	160	52
.46	﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾	144	64-111-111
.47	﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾	157	65-118
.48	﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾	19	79
.49	﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	5	83
.50	﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾	7	83
.51	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾	90	84
.52	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾	91	84
.53	﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾	33	85

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
54.	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾	22	88
55.	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ﴾	21-20	94
56.	﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾	143	111
57.	﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	147	125
58.	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	-155 156	126
59.	﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ﴾	157	128-127
	سورة الاعراف		
60.	﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَايِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾	4	31
61.	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾	130	37
62.	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾	59	49
63.	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾	37	-65-50 -83-80 -117-84 119
64.	﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾	36-35	80
	سورة الانفال		
65.	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾	65	77
66.	﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾	66	77
67.	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾	50	131

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة التوبة		
.68	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾	31	26
.69	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	75–76	36
.70	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	18	102
	سورة يونس		
.71	﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾	36	19
.72	﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾	39	20–21–
.73	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾	18	25
.74	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا و ﴾	13	40–81– 81–85
.75	﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾	27	49–51
.76	﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا﴾	45	55
.77	﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾	52	56
.78	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾	17	65–80– 81–83– 115– 117–120
.79	﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴾	16	80
.80	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ	14	81

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	تَعْمَلُونَ﴾		
81.	﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾	15	81
82.	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾	15-16	84
83.	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾	38	109
سورة هود			
84.	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	102	31
85.	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾	100-102	41
86.	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾	82-83	42
87.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴾	18	53
88.	﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾	3	136
سورة يوسف			
89.	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	53	16
90.	﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾	7	117
سورة الرعد			
91.	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	28	15
سورة ابراهيم			
92.	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾	27	47

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
93.	﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾	16-17	48
94.	﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾	18	52
	سورة النحل		
95.	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾	112-113	33
96.	﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾	27	50-53
97.	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾	97	52
98.	﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾	85	56
99.	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾	48	97
100.	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾	88	128
	سورة الاسراء		
101.	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾	16	41
102.	﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	97	54
	سورة الكهف		

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.103	﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾	33	11-12
.104	﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	49	13
.105	﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾	28	17
.106	﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	110	27
.107	﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾	32-44	34
.108	﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾	59	41
.109	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	7	48
.110	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾	105	52
.111	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾	57	62-82- 91-136
.112	﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾	15	88-111- 113
	سورة مريم		
.113	﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	39	50
.114	﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾	18	76
.115	﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾	27	109
	سورة طه		
.116	﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾	78	23

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
117.	﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾	111	39
118.	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾	124	136-48
119.	﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾	127	48
120.	﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾	102	51
121.	﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾	101-99	137
	سورة الانبياء		
122.	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾	30	36
123.	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾	11	41
	سورة الحج		
124.	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾	71	26
	سورة المؤمنون		
125.	﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾	-102 103	38
126.	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	1	38
127.	﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	100	46
	سورة النور		
128.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾	21	16

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
129.	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾	30	69
	سورة الفرقان		
130.	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	23	52
131.	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾	27	55
132.	﴿ فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾	54	66
	سورة الشعراء		
133.	﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾	93	54
134.	﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾	227	56
	سورة النمل		
135.	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾	14	14
136.	﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾	62	45
	سورة القصص		
137.	﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾	50	16-14
138.	﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾	39	22
139.	﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾	40	42-23
140.	﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾	37	38

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
141.	﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَايِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	74	54
142.	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾	72-71	75
143.	﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	47	126
سورة العنكبوت			
144.	﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾	40	42
145.	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾	57	45
146.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾	68	80-65
147.	﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾	67-66	80
148.	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	69	80
سورة الروم			
149.	﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾	29	16
150.	﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ ﴾	48	36
سورة لقمان			
151.	﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	13	-11-1 61-24
152.	﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا	24	120

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾		
	سورة السجدة		
.153	﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	21	47
.154	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾	22	65-82- 133- 134-137
	سورة الاحزاب		
.155	﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	72	10
	سورة سبأ		
.156	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾	15	42
.157	﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ﴾	16	43
.158	﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾	17	43
.159	﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾	18	43
.160	﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾	19	43
.161	﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾	42	136
.162	﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ ﴾	16	55
	سورة فاطر		
.163	﴿ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾	40	40
	سورة الصافات		

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.164	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾	-171 172	40
.165	﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾	20	50
.166	﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾	23-22	55
.167	﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾	1	69
.168	﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾	-165 166	69
	سورة ص		
.169	﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾	75	21
	سورة الزمر		
.170	﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾	69	11
.171	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	53	25
.172	﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ ﴾	51-47	55
.173	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾	32	-118-65 123
.174	﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾	60	128
	سورة غافر		
.175	﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾	31	13
.176	﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ	52-51	53-40

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	الْأَشْهَادُ ﴾		
177.	﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾	45-46	46
178.	﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾	18	56
179.	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾	28	128
سورة فصلت			
180.	﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	23	19
181.	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾	14	21
182.	﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	46	44
183.	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾	29	50
184.	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾	13	136
185.	﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾	16	137
سورة الشورى			
186.	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾	39-43	13
187.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾	45	39
سورة الزخرف			

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
188.	﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾	65	56
سورة الدخان			
189.	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾	49	73
سورة الجاثية			
190.	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	18	18
191.	﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	37	23
سورة الاحقاف			
192.	﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾	35	62
سورة الفتح			
193.	﴿ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	16	136
سورة الحجرات			
194.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾	12	19
سورة الذاريات			
195.	﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾	59	55
سورة النجم			
196.	﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾	22–23	19

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
197.	﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾	52	65-92
198.	﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾	62	97
	سورة القمر		
199.	﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾	8	50
	سورة الواقعة		
200.	﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾	68-70	36
	سورة الحديد		
201.	﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	24	36
	سورة المجادلة		
202.	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	19	14
	سورة الصف		
203.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	7	83
	سورة القلم		
204.	﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾	17-33	50
	سورة الحاقة		
205.	﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ	7-8	22

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	بَاقِيَةٍ﴾		
	سورة المعارج		
206.	﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾	21	96
	سورة الجن		
207.	﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	18	97
	سورة القيامة		
208.	﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	2-1	15
209.	﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾	24	51
	سورة النازعات		
210.	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾	40	17
211.	﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾	41-39	18
	سورة عبس		
212.	﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾	41-40	51
	سورة المطففين		
213.	﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	6	49
214.	﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾	23	74
215.	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾	15	75
	سورة الطارق		
216.	﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾	9	54

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
217.	﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾	10	54
سورة الاعلى			
218.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾	14	38
سورة الفجر			
219.	﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾	27	15
سورة العاديات			
220.	﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾	7	75
221.	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾	6	75
سورة قريش			
222.	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾	4	34

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام